روايات مصرية للجيب

شواطئ الأبدية ١٤

سلسلة نوفا للخيال العلمي

رءوف وصفي

Looloo
www.dvd4arab.com

مقـدمة

الكوْن بحر أبدى .. لا نهائى .. تبحر فيه أعداد هائلة من النجوم والكواكب .. بعضها له سرعة الشهب .. والأخرى تتحرّك بجلال وخلود ..
وحتى نتمكّن من الدخول إلى هذا العالم العلوى غير المنظور ، يجب أن نفتح عقولنا ، حتى تتسع لكل ما لم نكن نصدّقه من قبل ..
أعدادها هائلة ، مجموعات خيالية ، ومتنوّعة من الأجرام السماوية .. اتساع لا حدود له للدوّامة الكونيّة ..
يجب أن ننسى السرعات والمسافات المألوفة لنا فى حياتنا الأرضية ..
علينا أن نلقى بثوانينا ، سنواتنا وحتى بأعمارنا كلها ، كوحدات لقياس السرعة والزمن ..
يجب أن نفكر بدلالة خمس عشرة ألف مليون عام ، وهو عمر الكون ..
نفكر بمقياس اللانهاية .. كعمق للكون ..
علينا أن نسمح لأفكارنا أن تتعلق بشعاع الشمس الباهر ..
أو بضوء نجم متألق .. يبعد عنا بملايين الملايين من الكيلومترات ..
على أفكارنا أن تمرق بسرعة الضوء الهائلة ..
عليها أن تبحر .. وتسافر .. وتنطلق .. لتصل إلى المدى الذى لم تبلغه العين البشرية من قبل ..
فإذا سمحنا لعقولنا .. لخيالنا .. أن ينطلق بلا حدود ، فإننا عندئذ نبدأ فى تصوُّر لجزء من المشهد المجسم الرائع ، الذى نسمّيه الكوْن ..
فمهما ترنّمنا بكلمات تعزف على قيثارة الغموض ..
أو دخلنا فى تفسيرات للمجهول .. تتعالى هائمة بين السحب ..
كل هذا يتبدّد تحت ضوء الإيمان المنبثق من عظمة وروْعة الكوْن ..
ويخضع العقل الإنسانى للقُدرة الإلهية .. كلما تطلع إلى السماء ..
ويستسلم تمامًا فى خشوع وتعبد ، لذلك النظام الرائع ، والتنسيق الإلهى الخالد .. لكل ذرّة فى الكوْن ..
وأيضًا للأسرار التى تهبط إلينا فى تؤدة ..
وحكمة الخالق (سبحانه وتعالى) ..

رءوف وصفى

روايات مصرية للجيب

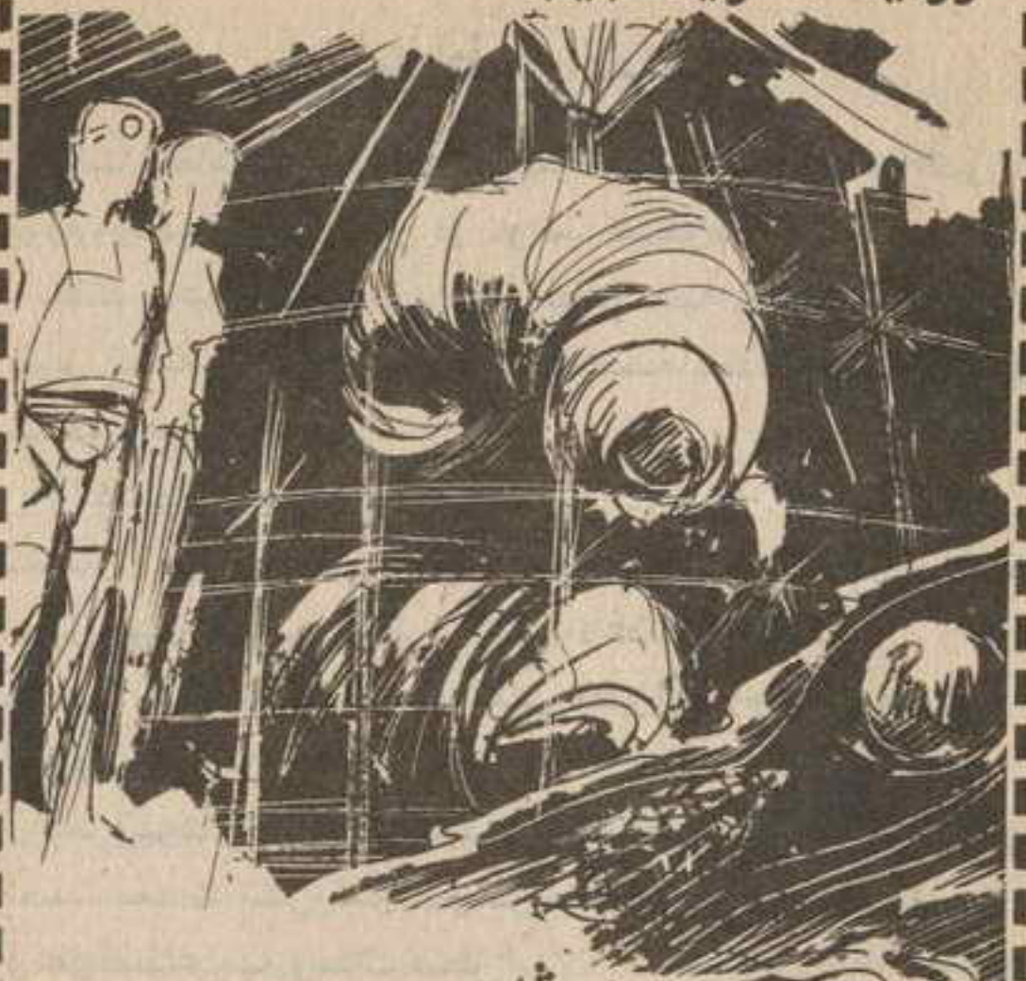

سلسلة **نوڤا** للخيال العلمى

شواطئ الأبدية

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١ شارع سلامة - العباسية - القاهرة - ت ٨٥٥٥٥٠

شواطئ الأبدية

كانت المغامرات المذهلة لدورية الفضاء فى أعماق الكون .. تروى وكأنها أساطير عبر كل كواكب المنظومة الشمسية .

القائد (عادل أشرف) .. الذى يطلق عليه (كابتن الفضاء) .. طويل القامة .. رياضى القوام .. ملامحه جادة وسيمة .. تظهر شخصية قيادية آسرة ..

والكمبيوتر الطائر (نبيل صبرى) .. الذى عاش من قبل .. كإنسان .. ولكنه أصبح الآن .. مجرد عقل حر نابض .. يسكن داخل هيكل معدنى صغير .. من الأعضاء الصناعية .. ومزود بأجهزة استشعار من بعد .. ووسائل للطيران .. ورقائق بيلوجية .. كمبيوتر حى !.

والروبوت العملاق (مارد) .. كتلة معدنية ضخمة .. بها أحدث معدات إلكترونية : دوائر متكاملة .. موصلات فائقة .. وعقل صناعى به وحدات منطق ..

كانت دورية الفضاء توقع الرعب فى قلوب الكائنات الأخرى المعادية .. والخارجين على قوانين اتحاد كواكب مجرة الطريق اللبنى .. ولكن :

« فى مغامرتهم الأخيرة .. توغلوا منذ عدة شهور .. داخل الظلام اللانهائى .. فى أعماق الكون .. ولم يعودوا بعد ذلك .. واختفوا .. وراء النجوم البعيدة ! » .

— ١ —

كان صوت المذيع فوق شاشة التليفزيون المجسم .. التى تحتل الجدار بأكمله .. مفعما بالمشاعر الصارمة التى لا تتعدى عمق شفتيه .. حدقت فيه (شيرين مجدى) .. وهى جالسة وحيدة فى مكتبها بقاعدة حماية كواكب المنظومة الشمسية .. وبدت لها كلمات المذيع باردة .. وكأنها مرثية تقال فى ذكرى ميت ..

وبإيماءة تعبر عن الرفض .. تحركت أصابعها لإغلاق جهاز التليفزيون .. بيد أنها توقفت فجأة للحظات .. كما لو كانت تتوق لسماع اسم شخص .. سوف يذكره المذيع :

— ... لقد ذهب الثلاثة نحو الظلام الحالك .. خارج مجرة الطريق اللبنى .. منذ ثلاثة شهور مضت .. ولا أحد يعرف الهدف الذى يبحثون عنه .. فقد كانت مهمة دورية الفضاء هذه المرة .. سرية للغاية .. ومن المعروف أنهم وعدوا بالعودة خلال شهر واحد .

تريث المذيع للحظات .. ريثما تعرض صور كابتن الفضاء (عادل أشرف) .. والكمبيوتر الطائر (نبيل صبرى) .. والروبوت العملاق (مارد) . ثم استطرد قائلا :

— ... لكنهم لم يعودوا !! ترى هل واجه كابتن الفضاء وزميلاه .. فى عمق الكون .. قوى هائلة لم يستطيعوا التغلب عليها ؟ أم أنهم دفنوا فى أحد القبور الفضائية .. الثقوب السوداء ؟!

صرخت (شيرين) وهى تبكى :

— لا ..

ثم أطبقت يديها على جهاز إغلاق التليفزيون .. وساد صمت مروع .. إلا أن صدى صوت المذيع .. كان ينساب عبر شرايين قلبها وعقلها متسائلا :

ــ هل هذا حقًا هو ما حدث ؟

ولم يستطع قلبها .. أو عقلها .. أن يعطى الإجابة .. نهضت من مكانها بجسمها الرياضى الرشيق وسارت فى تثاقل وتوتر نحو النافذة الكبيرة المطلة على شرفة متسعة .. ثم اتجهت إلى الخارج .. ووقفت هناك تتأمل سماء الليلة الحالكة الظلام .. أخذت تنظر بعينين تمتلئان بالدموع .. إلى الفضاء اللانهائى .. أطبقت أصابعها المرتعدة بقوة على « الدرابزين » المعدنى الفضى .. ثم صرخت مرة أخرى للكون بأسره :

ــ لا ...

ولم تجب الكواكب .. ولا النجوم .. ولا المجرة بأسرها ! أعادها لنفسها صوت باب مكتبها وهو يُفتح .. فاستدارت .. وهى تمسح عبراتها .. ثم نادت :

ــ (شوقى) ؟

قال الرجل الذى حضر توًا :

ــ أجل يا (شيرين) !

ثم ألقى بنفسه على المقعد .. وأخذ يراقبها بعينين باردتين مجهدتين .. بينما كانت تقترب منه ببطء .

كان رجلا قصير القامة .. قويًا ممتلئ الجسم .. وقد بدت عليه علامات الإجهاد .. إذ أنهكته سنوات الخدمة .. وجعلته أشيب ، إنه

خبير الفضاء (شوقى سليمان) ..

قال لها بتؤدة :

ــ لقد تحدثت إلى المسئولين يا (شيرين) ! .. و ..

قاطعته بلهفة .. وتهيب :

ــ وماذا قالوا لك ؟!

أجابها بقسوة على الرغم منه :

ــ قالوا إن كابتن الفضاء (عادل أشرف) قد مات .. وكذلك زميلاه .. وإن عليهم الذهاب .. لاستلام مختبر القمر ..!

كان صوته غريبا فى شدة انخفاضه .. ولم تلتق عيناه بعينى (شيرين) على الإطلاق .. ثم أردف قائلا :

ــ لقد فعلت كل ما فى وسعى .. ولكنهم لم يستمعوا إلى ..

أطرقت (شيرين) ثم قالت بصوت مفعم بالحزن :

ــ أعتقد أنه كان يجب عليهم الانتظار .. لفترة أطول قليلا ..

رد عليها بصدق :

ــ لقد انتظروا فعلا .. فالمدة القانونية لرجال الفضاء المفقودين .. هى شهران .. وبلغت فى حالتنا هذه .. ثلاثة شهور .. دون أى رسالة !

انحنت (شيرين) لتجعله ينظر إليها .. وقالت هامسة :

ــ هل تعتقد أنهم سوف يعودون ؟

تدلت كتفا (شوقى) .. وبدا أنه ينكمش فجأة .. وهو يتجنب نظراتها القوية إليه .. ثم أخذ يغمغم :

ـ لقد ذهبوا بعيدا جدا هذه المرة .. وحاولوا اختراق آفاق بعيدة .. لم يخترقها أحد من قبل فى سعيهم للوصول إلى مجرة (أندروميدا) .. !

تريث لبرهة ثم أضاف قائلا :

ـ وكان يتعين علينا عدم تركهم يذهبون !

صاحت (شيرين) قائلة :

ـ لقد حاولت منعهم ! إلا أنك تعلم بنفسك .. كم كانت الفرصة المتاحة لى قليلة !

حقا .. لقد كانت الفرصة قليلة !! إذ كان كابتن الفضاء (عادل أشرف) .. والكمبيوتر الطائر (نبيل صبرى) .. والروبوت العملاق (مارد) .. تواقين لمعرفة سر مجرة (أندروميدا) ..!

لقد توغلوا فى ماضى هذه المجرة .. لسنوات بعيدة .. وأماطوا اللثام عن قصة الإمبراطورية الفضائية القديمة بها .. الحضارة الراقية .. التى كانت تسيطر على النجوم .. منذ مليون عام فى الماضى ! وكانوا يعلمون القليل عن أجناس الكائنات الغريبة .. التى تسكن كواكب مجرة (أندروميدا) .. ولهذا كان على دورية الفضاء الذهاب إلى هناك .. لاكتشاف حقيقة السر الكونى .. عن أصل هذه الأجناس !

ـ ٢ ـ

قالت (شيرين) هامسة :

ـ لا يوجد هناك خطر يتعرضون له .. حتى فى أعماق الكون .. بالقدر الذى يصعب على دورية الفضاء مواجهته ..

نظر إليها (شوقى) للمرة الأولى .. وقال :

ـ (شيرين) ! لا أحد قوى أمام الموت !

وبدا وجهه مكتئبا .. وشاحبا .. ثم أردف قائلا :

ـ لابد لنا من مواجهة الواقع !.. والتخلى تماما عن الأمانى المستحيلة .. فإذا كان يجب أن يعودوا .. لكانوا قد عادوا بالفعل الآن !!

أخذت (شيرين) تحدق فيه بذهول كمن صدم بما سمع .. أما هو فكان ينظر إليها .. بشفقة وعطف يصعب تحملهما .. قال بتؤدة :

ـ إنك يا (شيرين) .. تدركين ذلك أيضا !

كان يبدو كما لو أن الحياة تنسحب عن وجهها .. عندما همست بصوت غير واضح :

ـ أجل !

واستدارت ببطء .. فتألق شعرها الكستنائى الفاتح .. ثم ضغطت بجبهتها المرتعدة على النافذة الباردة .. واستطردت قائلة :

ـ أجل إننى أدرك هذا ! .. لقد فقد اتحاد كواكب مجرة الطريق اللبنى بطلا عظيما .. هو كابتن الفضاء (عادل أشوف) .. وكذلك فقدته أنا ..

شعرت بيد (شوقى) الخشنة فوق كتفها .. وهو يقول :

ـ لم يكن كابتن الفضاء (عادل أشرف) لك على الإطلاق يا (شيرين) .. كذلك لم يكن لأى شخص آخر .. بل كان لاتحاد الكواكب .. وينتمى للوطن الكبير .. المنظومة الشمسية !

همست (شيرين) قائلة :

ــ أعرف ذلك ! إلا أننى لم أستطع مقاومة التفكير فى أنه سوف يأتى إلى .. ذات يوم ...

ثم توقفت عن الاسترسال .. ولم تتكلم مرة أخرى لفترة من الوقت ..

وبزغ القمر ناصع البياض .. باردا .. وحيدا .. فى السماء المظلمة ..

نظرت إليه بعينين جامدتين ثم قالت :

ــ إنهم الآن فى طريقهم للاستيلاء على آخر ما تبقى لكابتن الفضاء (عادل أشرف) .. مسقط رأسه .. ومنزله .. وتجاربه العلمية .. وكل الأعمال التى أنجزها من أجل الجنس البشرى !

تنهدت (شيرين) ثم أردفت بصوت مفعم بالأسى :

ــ إنهم لا يريدون ترك أى شىء عنه .. حتى الذكريات !

رد (شوقى) بكل ما أمكنه من لباقة :

ــ حاولى ألا تنظرى للأمر بهذه الطريقة ! كان يجب عليهم أن يفعلوا ذلك يا (شيرين) إن جميع المعدات المتطورة التى توجد بمختبر القمر خطيرة للغاية لو تركت لأيد غير أمينة !.. لقد حاولت كائنات غريبة عدة مرات أن تجتاز حواجز الأمن لسرقة أسرار كابتن الفضاء (عادل أشرف) .. وربما ينجح أحدها فى ذلك ذات يوم ..!

تريث لبرهة ثم أردف بسرعة :

ــ إن المعرفة العلمية .. والمعلومات السرية الموجودة هناك .. صار من الواجب استخدامها لصالح الجنس البشرى .. وليس ضياعها !

أومأت (شيرين) برأسها قائلة :

ــ إننى أدرك هذا !

ثم قطبت وجهها فجأة .. وتألقت عيناها الذهبيتان وقالت :

ــ الأسرار !! هناك أشياء معينة لم يكن الكابتن (عادل) يريد أن يراها أى شخص .. حتى المسئولين فى اتحاد الكواكب .. إنها أشياء غير مأمونة فى تداولها حتى بين كبار العلماء .. عند قيامهم بإجراء التجارب العلمية عليها ..

نظرت بعيدا للحظات ثم استطردت هامسة :

ــ إننا لا نستطيع أن نخذله فى هذا الأمر على الأقل ! حدق فيها (شوقى) ثم قال:

ــ إنك على حق يا (شيرين) .. إننى أتذكر بعض التجارب التى أرانا إياها .. والبعض الآخر الذى لمح لنا به ..

وفكر تفكيرا عميقا لعدة ثوان .. متأملا وجهات النظر العديدة .. ثم قال أخيرا :

ــ أجل .. لدينا وقت كاف .. ليس كثيرا .. إلا إنه يكفى إذا أسرعنا !

وفجأة .. دبت الحيوية من جديد فى جسدى (شيرين) و (شوقى) ..

والآن يوجد ما يمكن عمله للتخفيف عن عقليهما ذلك التفكير الطويل .. الحزين .. فى أمور يصعب تحملها ..

قالت (شيرين) بحماس :

ــ سوف نأخذ هذه الأشياء السرية من مختبر القمر .. مهما واجهنا من صعوبات ثم نخبئها فى مكان آمن .. وبعد ذلك إذا وجدنا ..

وتوقفت برهة قصيرة ثم استطردت بضعف :

ــ وعندما نجد أنه من الأمان .. إعلان هذه الأسرار .. فسوف نعرف حينئذ أين نجدها ..

قال (شوقى) مؤكدا :

ــ ربما كان كابتن الفضاء (عادل) .. يريد منا أن نفعل ذلك ..

ثم ابتسم بغموض .. واستدار قبل أن يصل إلى باب الخروج .. وأضاف :

ــ لو قبض علينا فسوف نحاكم أمام المجلس العسكرى للكواكب ! ولكننا ثعلبان ماكران .. ويصعب القبض علينا ! هيا بنا ..

لم يوجه رجال الأمن أى أسئلة إلى خبير الفضاء (شوقى سليمان) .. ولا لرائدة الفضاء (شيرين مجدى) .. وأخلوا لهما الطريق الذى سيمران فيه إلى المطار الفضائى .. بكفاءة وسرعة .. وفى غضون ساعة واحدة .. انطلقت مركبة الفضاء (ابن ماجد) .. فى اتجاه القمر ..!

ــ ٣ ــ

لم يتحدث أى من الاثنين كثيرا .. وأخذت (شيرين) تراقب الكتلة المظلمة الكبيرة .. لكوكب الأرض .. وهى تبتعد عنهما .. ثم نظرت من خلال الفتحة الأمامية إلى المكان المقصود .. وفكرت فى كل المرات التى كان فيها كابتن الفضاء (عادل أشرف) .. قد انطلق خلال نفس الطريق الفضائى .. فى طريق عودته إلى منزله فوق القمر .. مسقط رأسه ..! إنه مهد غريب .. لطفل ..

القمر الخالى من الحياة .. والذى يوقع فى النفس الروعة .. أو الرهبة !.. وطفل من أبوين من الجنس البشرى :

أحد علماء كوكب الأرض .. وزوجته اللذان ذهبا إلى القمر للقيام بأبحاث سرية .. مع زميلهما .. الذى كان ذات يوم .. إنسانا اسمه (نبيل صبرى) . ثم أصبح الكمبيوتر الحىّ ..الطائر !

* * *

وقد قاموا بتشييد مختبر القمر هناك .. وأدى عملهم إلى تصنيع الروبوت العملاق (مارد) .. وبعد الموت المأساوى لوالدى (عادل أشرف) .. فى انفجار مروّع ..! أصبح الكمبيوتر الحىّ .. والروبوت العملاق .. هما الوصيان على الطفل (عادل) ..

وتخيلت (شيرين) .. كيف كان يجب أن تكون الأمور فوق القمر .. حتى ينمو (عادل) .. وأن يحصل على نظراته الأولى لكوكب الأرض .. من خلال السقف الزجاجى للمختبر .. وأن يسمع أولى الكلمات من الأفواه الغريبة .. للكمبيوتر الطائر .. والروبوت العملاق .. وأن يقوم بألعابه الطفولية جيئة وذهابا .. معهما .. فى دهاليز المختبر .. المحفور أسفل (بحر الغيوم) ..

تخيلت أيضا صورة ولد صغير ذى شعر أسود ناعم .. ينظر من القمم القمرية الوعرة .. مرتفعات (كيبلر) و (ماكروبيوس) ..

والسهول الصخرية الرهيبة .. محيط العواصف .. بحر الهدوء .. وادى أفلاطون .. وأخذت تتصور كم كان وحيدا فى بعض الأوقات ..

وكانت ثمة دموع فى عينيها الذهبيتين الواسعتين .. إلا أنها لم تكن من أجل الطفل الوحيد ..! ولكن من أجل الرجل .. الذى صار إليه هذا الطفل .. فقد كانت الوحدة .. هى ميراث كابتن الفضاء (عادل أشرف) .. والتى ميزته بصفات وقدرات خاصة .. جعلته فى منزلة متفردة ومميزة عن الرجال الآخرين ..

ومن الأمور التى تتفق وتنسجم مع الكابتن (عادل أشرف) .. أنه إذا كان عليه أن يموت .. فإن ذلك لا بد وأن يتم فى عزلة تامة .. بعيدًا فى عمق الكون !

* * *

لم يلبث سطح القمر البارز لأعلى تجاههما .. أن أصبح واحة نجاة .. فى خلفية من السواد والبياض الشديدين .. وبدت القمم الحادة المرتفعة .. للفوهة البركانية (تايكو) .. وكأنها تمزق السماء الخالية من الهواء .. كالمخالب الجائعة ..!

وقد مرت مركبة الفضاء (ابن ماجد) فوقها .. ثم هبطت وهى تنفث نيرانها النفاثة المتوهجة .. بغاز الهيدروجين .. الوقود المتطور إلى أرضية وادى (بحر الشتاء) ..

ارتدى كل من (شيرين) و (شوقى) رداء الفضاء فى صمت .. وخرجا من المركبة .. إلى سطح القمر ..

لقد كانا هنا من قبل .. ومن ثم فهما يعرفان طريقهما .. وجدا المدخل الخفى للمختبر السرى .. وقام (شوقى) بجهد .. وعناية .. بتشغيل وسائل التحكم .. التى فتحت باب الحراسة ..

ولا يتوقع الأشخاص الذين لا يعرفون أرقام فتح الباب الفولاذى الحصين .. إلا الموت المفاجئ الرهيب !

لقد كان أعضاء دورية الفضاء .. يعرفون جيدا كيف يحفظون أسرارهم ..

انزلق قطاع من صخرة قمرية رمادية .. جانبا .. كاشفا عن سلم مظلم .. فهبطا لأسفل .. ثم أغلقت الصخرة مرة أخرى .. فوق رأسيهما ..

استمرا فى الهبوط لأسفل مسافة عشرين مترا نحو الحاجز الهوائى .. وكانت وسائل تحكمه الآلية .. تعمل بسهولة وكفاءة .. وانتظر الاثنان حتى أظهرت شاشات الكمبيوتر .. أن غرفة العزل قد امتلأت بالهواء .. وبعد ذلك خلع كل منهما رداء الفضاء .. وذهبا تجاه الأبواب الداخلية للمختبر السرى ..

اضطربت (شيرين) أول الأمر .. وقالت همسا :

ــ لا أعتقد أننى أستطيع الدخول .. وأنا أعلم أنه غير موجود هناك .. لا أستطيع .. لا أستطيع ! فهنا منزله .. والمكتب الذى كان يعمل عليه .. وفراشه .. والأشياء القليلة التى تركها وراءه للأبد !

وتشبثت بذراع (شوقى) باكية .. فأخذ يربت عليها بيديه الكبيرتين .. وهمس لها قائلا :

ــ هيا بنا الآن .. فإن الكابتن (عادل) لا يريد أن يراك وأنت تبكين !

فأخذت نفسا عميقا .. وقالت :

ـ إننى لأتعجب !!

قالتها فى نوبة انفجار عاطفى مفاجئ .. تعبيرا عن القسوة الفظيعة التى لاقتها من القدر .. هذه القسوة التى جعلتها .. تحب كابتن الفضاء (عادل أشرف) ..!

ثم استطردت قائلة من بين دموعها :

ـ إننى لأتعجب .. إن كان يهتم على الإطلاق بما إذا كنت أبكى أم لا !

وأعادت بسرعة رأسها للخلف .. وتقدمت لتمر من الحاجز الهوائى الداخلى .. وتبعها (شوقى) على مسافة قصيرة .. كان السلم أمامهما مظلما .. مخيفا .. وبدآ فى النزول إلى أسفل .. وهما يشعران بدوى وقع أقدامهما .. على السرداب الصخرى .. مدركين للصمت المحيط بهما .. كانا يعلمان .. أنهما اثنان متطفلان .. فى مكان خفى .. مهجور .. داخل عالم .. لا حياة فيه !

وبمجرد أن هبطا السلم .. صرخت (شيرين) .. ودوت الصيحة من خلال صدى الصوت الخشن .. الذى يتردد بين الصخور النارية ..

وصاح (شوقى) أيضا بصوت مرتفع .. عميق .. أجش .. إذ خرجت فجأة .. قبضة حديدية فى الظلام والسكون .. من مكان ما .. واتجهت نحو (شيرين) و (شوقى) .. وأمسكت بهما ! وأصبحا محبوسين .. ومقيدين .. ولا يستطيعان الحركة .. ثم ظهر ضوء قوى .. مباغت .. فأدارت (شيرين) راسها .. فتألق شعرها الكستنائى القصير ..

بدا خلفهما ظل هائل .. لمخلوق غير آدمى .. ذى وجه معدنى .. وكانت قوة الذراعين المعدنيتين .. قاسية .. وجبارة .. لا يمكن وصفها .. أو الفكاك أو الهروب منها ..!

وأخرج (شوقى) من حنجرته صوتا غريبا .. غير مألوف بالمرة .. توقفت (شيرين) عن المقاومة .. وارتخى جسمها .. وظهرت غشاوة أمام عينيها .. وأخذ فمها يكون كلمة .. رددتها الجدران الصخرية .. مرات ومرات .. وكانت هذه الكلمة اسما :

ـ (مارد) ! .. (مارد) .. (مارد)..!

ـ ٤ ـ

كان (مارد) هو الروبوت العملاق .. أحد أفراد دورية الفضاء ! وأحست (شيرين) بنفسها وهى تجلس بلطف شديد .. وسمعت صوت (مارد) ذا الصرير المعدنى يقول معتذرا :

ـ (شيرين) ! (شوقى) ! لم أكن أعرف أنكما هنا .. كانت إشارة الخطر تدوى .. إلا أنه لم تكن هناك وسيلة لمعرفة من القادم !

وكان هناك صوت آخر .. ناعم يشبه الصفير يقول بغضب :

ـ (مارد) ! ما الذى فعلته ؟ لقد روعتها وجعلتها تشرف على الهلاك ! انظر .. إنها تقترب من حالة الإغماء !

وفعلا .. أغمى على (شيرين) .. ثم اختلطت الأضواء مع الظلام .. وكان لديها إحساس بأن شخصا ما يحملها .. وصارت بعد ذلك ممددة فى مكان ما .. طيات من الضباب الأبيض الرقيق .. ذى الحركة الدوامية .. وكانت الأشكال تتأرجح فوقها .. مبهمة .. وغير واضحة على الإطلاق :

(شوقى) .. والشكل المعدنى الضخم (مارد) .. يلوحان كطيفين من بعيد ..

وجاء كائن آخر .. صندوق صغير مكعب الشكل .. شفاف .. مرتفع عن الأرضية بعدة أمتار .. وهو شىء غريب تماما .. إلا أنه مألوف لمن يعرفونه .. فهو الجسم الصناعى الذى يغلف العقل المفكر الحى .. للكمبيوتر الطائر (نبيل صبرى) ..

ذكر اسمها .. فأجابته بضعف :

ـ (نبيل) !

وأحاط بها الضباب الكثيف مرة أخرى .. وكانت تبحث وهى فاقدة الأمل .. ثم أحست بالإجهاد .. وبخفقان قلبها .. ولم تعد ترى شيئا ..

وكان (نبيل) يعرف أنها لابد وأن تسأله .. إلا أنها لم تفعل ..

وفجأة .. ناداها صوت عميق .. من مكان ما .. ربما فى كون آخر ! إنه لم يكن صوتا مثل الآخرين ..

ـ (شيرين) ! (شيرين) !

وما إن قالها .. حتى وثب عقلها .. وقلبها تجاهه .. وهى تقاوم الضباب الشديد المحيط بها .. وكانت هناك غشاوة دوارة من الضوء .. أحست بكيانها كله يقفز إلى أعلى .. انحنى فوقها ..

وعيناه الرماديتان قلقتان .. ولانت ملامحه .. وقسماته الحادة الثاقبة .. التى كانت تتذكرها جيدا .. وأصبحت الآن رقيقة .. وادعة .. حساسة ..

همست قائلة :

ـ (عادل) ! أما زلت حيا .. ولم تصب بسوء ؟! ..

ثم بدأت فى البكاء .. فأمسك بيدها فى حنان ..

وفجأة اعتدلت جالسة .. ودفعت الكابتن (عادل أشرف) بعيدا .. وحدقت فى وجهه وعيناها ممتلئتان بالدموع والغضب .. وصاحت قائلة :

ـ لماذا لم تخبرنا ؟ لم تركتنا نعتقد أنك هلكت ؟ ألا يوجد لديك قلب على الإطلاق ؟

ونظرت حولها تجاه الآخرين (شوقى) و (نبيل) و (مارد) .. فاستداروا نحو الجدار الصخرى .. وهم مرتبكون ..

حتى (نبيل صبرى) الذى عاش عمرا طويلا .. داخل جمجمة إنسان .. وأصبح يعيش الآن .. داخل صندوق شفاف مكعب الشكل .. مستخدما مصلا بدلا من الدماء . .ومضخة تنبض مكان القلب .. تحرك هذا العقل الحى .. على أشعته الكهرومغناطيسية غير المرئية .. والتى تعتبر وسيلته فى التنقل .. وكانت عيناه ذات العدسات الكوارتزية .. تنظران بعيدا عن (شيرين) والكابتن (عادل) ..

وخفض الروبوت العملاق (مارد) .. نظراته اللامعة .. المتألقة ..

قالت (شيرين) وهى توجه الاتهام لكل وردية الفضاء :

ــ ... لقد رجعتم سالمين ولم تخبرونا ! ألا تعرفون كيف كانت مشاعرنا ؟

وكانت حينئذ ترتعد بعصبية ..

تراجع كابتن الفضاء (عادل أشرف) للوراء قائلا دون أن ينظر إليها :

ــ أنا آسف يا (شيرين) ! فأنا .. نحن .. كنا نعرف حقيقة مشاعركم ! إلا أننا لم نكن نستطيع أن نخبر أى شخص .. فلم يحن الوقت بعد !

وظهر وجهه فى الضوء الشديد .. الساقط من قبة السقف .. متعبا .. ويمتلئ بالتجاعيد .. وكانت لعينيه ظلال فيها شىء من الغموض .. والغرابة ..

حدق فيه (شوقى) .. بنظرة ذات هدف قائلا :

ــ لابد أن لديك سببا قويًا !

كان يود أن يحتفظ باستيائه وغضبه .. نظرا لكونه الأكبر سنًا .. وبدا صوته يرتعد من التوتر .. وهو يواصل حديثه :

ــ هل وصلتم إلى مجرة (أندروميدا) ؟

أجاب كابتن الفضاء بإيجاز :

ــ أجل .. وصلنا إليها !

وحتى (شيرين) .. نسيت عواطفها .. أمام الدهشة العارمة من هذه الكلمات الثلاث .. وهمست :

ــ وصلتم إلى مجرة (أندروميدا) ؟!

ثم جلست بعد ذلك ساكنة فى رهبة ..

مجرة (أندروميدا) .. أو كما يطلق عليها مجرة (المرأة المسلسلة) .. التى تبعد عن كوكب الأرض بنحو مليونى سنة ضوئية .. إنها إحدى جزر الكون الهائلة .. إذ تحتوى على حوالى ٣٠٠ بليون نجم .. أى أكثر من ضعف عدد النجوم فى مجرتنا (الطريق اللبنى) .. ويبلغ قطرها ١٣٠ ألف سنة ضوئية .. بينما قطر مجرتنا ١٠٠ ألف سنة ضوئية فقط !

حقًا .. إنها رحلة كونية .. رائعة .. لا تصدق .. لقد كان كابتن الفضاء (عادل) يحلم بهذه الرحلة .. ثم استطاع أن يحققها فعلا ..

تساءل (شوقى) متهيبا :

ــ هل وجدت ماكنت تبحث عنه .. سر الكائنات الغريبة .. بمجرة (أندروميدا) ؟!

هز كابتن (عادل) رأسه .. وأجابه بشكل غير مباشر :

ــ لقد حدثت مفاجآت مروعة .. ووقعت مشاكل . وكادت أن تتحطم سفينتنا الفضائية .. وكنا محظوظين أن عدنا مرة أخرى ..

وابتسم على نحو مفاجئ .. ابتسامة تبدو طبيعية .. إلا أنها فى الواقع .. بدت غريبة .. غير مألوفة ! واستطرد الكابتن (عادل) موضحا :

ــ هل تثقان بى ؟ إن لدىّ عملا يجب أن أقوم به .. وأريد أن تعودا أنتما الاثنان إلى كوكب الأرض الآن .. وسوف أكون قريبا منكما .. وبعد ذلك سأخبركما بكل ما تريدان معرفته ..

نهضت (شيرين) وهى تحدق فى وجه الكابتن (عادل) فى تحد وقالت :

ـ أنت خائف علينا إذا بقينا هنا .. لماذا ؟

وكانت إجابته السريعة .. ذات حماس غير مقنع .. عندما قال :

ـ هذا هراء ! أرجو أن تذهبى مع (شوقى) !

ثم نظر إلى خبير الفضاء (شوقى) من فوق كتفها .. نظرة ذات مغزى وأضاف :

ـ خذها يا (شوقى) وعد بها إلى كوكب الأرض ..

وتكلم الكمبيوتر الطائر .. الحى .. بصوته الآلى الأجش :

ـ إن الكابتن (عادل) على حق يا (شيرين) .. فإن لدينا الكثير من العمل على العينات التى أحضرناها معنا .. من مجرة (أندروميدا) .. ولن تستفيدى شيئا من تعطيلنا عن تحقيق أهدافنا !

وجاء إليها الصوت المعدنى المميز لـ (مارد) مدويا :

ـ بالتأكيد .. فلا توجد أى متعة بالنسبة لك .. عندما تنظرين إلى مجموعة صخور .. وأشياء قديمة ..

فصاحت (شيرين) غاضبة :

ـ أعلم أنكم خائفون علينا نحن الاثنين .. (شوقى) وأنا ..

وإلا ما كنتم تريدون منا أن نذهب .. لقد أحضرتم معكم عند عودتكم من مجرة (أندروميدا) .. شيئا هاما .. وخطيرا !!

تريثت للحظات لتلتقط أنفاسها ثم أردفت بسرعة :

ـ .. ولهذا فأنتم خائفون .. بالقدر الذى لا يجعل لديكم الجرأة على أن يعرف أى شخص .. أنكم عدتم !

لم يجبها أحد ..

ووسط الهدوء الكئيب .. الذى كان يسود مختبر القمر .. أحس كلٌ من (شوقى) و(شيرين) بشىء ما .. مخيف ! رعب غامض .. قادم من وراء أغوار ما بين المجرات الكونية ..

وتحدث (شوقى) بعدعدة ثوان .. موجها سؤاله لكل دورية الفضاء :

ـ ما الذى وجدتموه بعيدا هناك ؟

أجاب الكابتن (عادل) بتؤدة :

ـ بعض تاريخ السلالات القديمة .. لجنس الكائنات الغريبة الأول .. لقد نزحوا منذ زمن طويل مضى .. إلى أماكن أبعد فى الكون .. وكان هذا يمثل انحسارا للإمبراطوريات الفضائية ..

نهض كابتن الفضاء (عادل أشرف) وهو يضيف :

ـ .... إلا أننا وجدنا كواكب كانوا يعيشون فوقها .. ومدنا مهجورة .. خامدة .. يحوطها الغموض .. والسرية ..

وقال الكمبيوتر الطائر .. العقل الحى (نبيل صبرى) بطريقته الدقيقة الخالية من العواطف :

ـ لقد عثرنا على الكثير من التسجيلات .. والنقوش المحفورة .. والكتابات ولكن بلغة الإمبراطورية الفضائية الأولى .. وتسمى لغة (الكادار) .. وكانت حالتها شبه مدمرة .. ومطموسة بفعل الزمن .. غير أنها تروى لنا حكايات أغرب من الخيال .. حدثت فى مجرة (أندروميدا) !

وبدأ كابتن الفضاء (عادل أشرف) يروى القصة .. وهو أشبه ما يكون برجل مبهور بحلم ما .. أكبر من ذاته ..

انحنى إلى الأمام برأسه ذى الشعر الفاحم .. وقسماته الحادة .. وكان من الواضح أن عينيه تخترقان حواجز وحجب الزمان والمكان .. ثم قال ببطء :

ـ إنكما تعرفان بعض هذه الأمور قبل الآن .. فقد اشتركتما فى اقتفاء أثر حقيقة الكائنات الغريبة التى تعتبر المخلوقات العاقلة الوحيدة فى الكون بجانب الجنس البشرى .. عبر حشود النجوم بمجرة الطريق اللبنى التى ننتمى إليها .. حتى وجدنا أن الإجابة تكمن فى مكان أكثر بعدا وراء آفاق الفضاء الخارجى .. فى مجرة (أندروميدا) .. والحقيقة أننا نعرف قدرا لا بأس به من المعلومات والحقائق .

تريث قليلا ثم أردف قائلا :

ـ .... إننا نعرف أن سلالة الكائنات الغريبة .. تمتد جذورها حتى مصدر نشأة مجهول ! وأنها انتشرت عبر الكون .. وتكونت منها إمبراطوريات فضائية .. وأجناس كثيرة .. فوق مجرات

عديدة .. مثل مجرة (ماجيلان) الكبرى .. وإننا نعلم أيضا بعض التفاصيل عن كيفية كفاح السلالة القديمة من الكائنات .. وحروبها من أجل التفوق والسيطرة .. وكان أقوى هذه الأجناس .. سلالة (شاندراكور) !

توترت العضلات حول فمه بقوة .. ثم كرر الاسم مرة أخرى :

ـ ... إن سلالة (شاندراكور) هى الكائنات الذكية المروعة .. التى انتصرت فى حروبها ضد الكائنات الأخرى .. وهى سلالة عظيمة .. ومنتشية بالكبرياء .. ولا تحب التطفل أو الإزعاج .. وكان هدفنا تحقيق الاتصال بين الجنس البشرى .. وجنس (شاندراكور) !

توقف كابتن الفضاء (عادل أشرف) لفترة قصيرة .. وهو تحت تأثير انجذابه .. وشغفه بالحلم الذى يراوده ..

وشعر (شوقى) بقوة الرباط بين أفراد دورية الفضاء .. ولم يكن هو و (شيرين) ـ برغم رصيد الحب الكبير الذى يكنانه لهم ـ بقادرين على اختراق هذا الرباط الداخلى الوثيق بين الثلاثة!

قالت (شيرين) بهدوء :

ـ لقد وجدتم فى مجرة (أندروميدا) .. ما هو أكثر من المعرفة .. ويجب أن تخبرنى بذلك يا (عادل) .. فإننى لن أذهب من هنا !

قال (شوقى) مؤكدا :

ـ ولا أنا ! فنحن لم نتراجع أمام أى خطر حتى الآن !

نظرت عينا كابتن الفضاء (عادل) .. تجاه الكمبيوتر الطائر قائلا :

ـ ما الذى يتعين علىّ عمله يا (نبيل) ؟

أجاب العقل الحى :

ـ لقد أعلنا قرارهما .. فليكن ما يريدان !

قال الكابتن (عادل) :

ـ حسنٌ جدًا .

ووضع يديه على كتفيهما .. وأمسك كلاً منهما بقبضة قوية .. وابتسم .. وكانت هذه المرة .. ابتسامة حقيقية .. من القلب ! وأضاف :

ـ كنت أتمنى هذا !

ثم قاد الكابتن (عادل) الجميع فى الطريق الصخرى .. وعبر الغرفة المركزية الكبيرة بالمختبر .. وهى ذات حيز دائرى فسيح .. منحوت فى الصخر القمرى .. وبدت الحجرة مكتظة بالأجهزة والمعدات من جميع الأنواع .. أجهزة ليزر تعمل بغاز ثانى أكسيد الكربون .. موصلات فائقة .. كمبيوترات بيضاوية ذات رقائق بيولوجية ..

وكانت هناك حجرات ودهاليز أصغر مفتوحة على الغرفة الرئيسية .. وعنابر للمعيشة .. وغرف لحفظ التموين .. ويؤدى الممر إلى حظيرة سفينتهم الفضائية (النيزك) ..

وجاء حيوانان غريبان صغيران .. مختلفان عن بعضهما تماما مندفعين نحو (شيرين) و (شوقى) ووثبا حول سيقانهما ..

وومضت على وجه (شيرين) المجهد ابتسامة قصيرة وقالت :

ـ ألا زلت يا (نبيل) تحتفظ بحيوانيك المدللين ؟!

وكان (زومر) الكائن الصغير القمرى .. آكل المعادن .. ذو اللون الرمادى .. والأنف الكبير .. و (كاسو) السمين .. ذو اللون الأبيض .. والفراء الكثيف .. محبوبين لكل أفراد دورية الفضاء .. إلا أن ترحيبهما بالوثب المرح .. لم يستطع أن يخفف من الروع .. والفزع .. الذى كان الجميع تحت تأثيره .. وقد انسحب الكائنان الصغيران للخلف بعيدًا .. كما لو كان قد مسهما الخوف .. عندما شاهدا الباب الذى كان الكابتن (عادل) يقود الجميع تجاهه وهو باب لإحدى الحجرات الصغيرة ..

فتح كابتن الفضاء الباب وقال :

ـ من هنا ..!

ووقف كل من (شيرين) و (شوقى) ساكنين .. وهما ينظران إلى الداخل ..

كانت هناك آلة موجودة .. فى وسط الحجرة ذات الجدران الصخرية .. وهى عبارة عن قفص له قضبان من البللور ..

المتألق .. أخذت تتذبذب بإيقاع منتظم .. من الطاقة المجهولة المصدر. بحيث إن القضبان أخذت تومض بأطراف ماسية .. تصدر ضوءا .! إشعاعيًا .. بالإضافة إلى بللورة كبيرة مثلثة الشكل .. فى أعلى القفص ..

قال الكمبيوتر الطائر :

ــ إن هذه الآلة الغريبة تصنع ركودا تامًا لنفسها .. لهذا ينعدم الزمن .. وتتوقف الحركة داخلها .. ويحدث هذا بسبب ثقب أسود دقيق جدًا .. يمدها بطاقة هائلة ..!

انكمشت (شيرين) تجاه الكابتن (عادل) .. وكانت عيناها ثابتتين .. نحو شىء ما .. ظل ساكنا هناك .. داخل هذا القفص البللورى العجيب !

وبدا لذلك الشىء .. قلب داخلى مركزى ذو ظلام كثيف .. حالك .. وتحيط به قلنسوة من أغطية .. وأحجبة مظلمة .. ومعقودة .. ومصمتة .. لا تشبه على الإطلاق لحم الكائنات الحية !

وكان شكل هذا المخلوق الغريب .. ووظائفه الحيوية .. أمورًا عجيبة تمامًا .. بالمقياس العلمى المعروف لتطوير المخلوقات .. إذ إن العيون لا تستطيع إدراك شكله .. ففى السكون المريب لهذا المخلوق ذى الرداء القلنسوى .. وأحجبته العائمة .. المطوية .. المظلمة .. يعطى إحساسا بعدم ثبات الشكل .. وأنه دائم التغير .. وحتى الآن .. فإن تعرف عدم وجود إحساس أو وعى .. كان مقترنا بإدراك وجود طاقة ! فى ذلك المخلوق المظلم .. المحير ..

وأحست (شيرين) أن جسدها ينكمش على نفسه .. فى هروب أو نكوص غريزى .. وكان يبدو أنها تشعر فى قرارة نفسها .. بموجات متقلبة كالمد والجزر .. تفوح منها رائحة الشر .. والخطر .. اللذين ينسابان من هذا الكائن الغريب .. وهو إحساس يمتلئ بالرعب .. عند مشاهدة شىء ما .. يختلف تماما عن جميع أوجه الحياة .. التى رأتها من قبل ..

همست قائلة :

ــ ما هذا ؟!

أجابها الكابتن (عادل) :

ــ إنه واحد من أوائل سادة المجرات .. إنه أحد (الشاندراكور) .. وبطريقة ما .. ولمجرد معرفة أن له اسما .. جعله أقل هولا !

تحاملت (شيرين) على نفسها .. لتنظر مرة أخرى إلى الكائن الغريب ..

قال الكمبيوتر الطائر ببطء :

ــ لقد وجدناه فى إحدى المدن القديمة المحطمة .. فى كوكب .. بمجرة (أندروميدا)

رد (مارد) مصححا :

ــ أنا الذى وجدته ! عندما اقتحمت هذا السرداب عنوة .. أسفل قاعة الشموس التسعين .. ولولا ما قمت به من مجهود .. لما كان فى استطاعتكم أن تروه !

قال (نبيل) بسخرية :

ــ (مارد) له قدرة عالية على حمل الأعباء .. لكن العقل ضعيف !

ولكن لم يبتسم أحد ..

فهذا المخلوق الأسود الداكن .. جعل حالتهم النفسية سيئة ..

قال (شوقى) متشككا :

ــ هل كانت هناك منذ ملايين السنين .. كائنات غريبة .. مثل هذا ؟!

صمت كابتن الفضاء للحظات متأملا .. ثم قال بتؤدة :

ــ أجل ! لقد سيطروا على عدد كبير من مجرات الكون .. ثم انقضى عصرهم مثل الكثير من الأجناس والسلالات العظيمة .. ويكمن السبب الرئيسى لهذا فى تغير الظروف الطبيعية .. وربما كان للإشعاعات الكونية التى تشتمل على جسيمات دون ذرية عالية الطاقة .. تأثير عكسى على شكل الحياة .. لهذه الكائنات الغريبة !

قالت (شيرين) لاهثة :

ــ إن هذا الكائن ميت ! إلا أنه ظل محافظا على شكله .. طوال هذه العصور !

نظر إليها كابتن الفضاء .. نظرة غريبة ثم قال ببطء :

ــ الكائن الغريب مازال حيًا يا (شيرين) !!

وكان رجع الصدى لكلماته .. على السرداب والجدران الصخرية .. مثل صوت الخطر الداهم .. المرعب ..

لم يتكلم أحد لفترة من الوقت ثم قدم الكمبيوتر الحى .. التفسير التالى :

ــ لقد أخبرتنا التسجيلات والنقوش والكتابات القديمة .. أن إحدى سلالات الكائنات الغريبة .. هى التى فازت فى حروب المجرات ضد

جنس (شاندراكور) .. إلا أنها لم تستطع تدميرهم .. وذلك لأن شكل الحياة عندهم مختلف تماما .. عن أى كائنات أخرى .. ولم تتمكن السلالات المنتصرة إلا أن تسجن جنس (شاندراكور) .. باستخدام تجميد القوة .. مثل هذا الذى أمامكم !

تريث قليلا ثم أردف قائلا :

ـ ... وكانت هناك تحذيرات .. فإذا أبطل تجميد القوة .. فسوف يستعيد (الشاندراكور) الحياة .. والوعى .. وكأن جميع هذه الدهور لم تنقض وسيستيقظ بكامل قوته ..

كما أن الكتابات والنقوش تحذر كل من قرأها من أن (الشاندراكور) ذوو قوة تملك وسيطرة رهيبتين لا تصدق .. وطوق النجاة منهما .. هو (ماسات القوة) !

كررت (شيرين) كلماته قائلة :

ـ إذا أبطل تجميد القوة ! لا .. لا يا (عادل) .. بالتأكيد إنك لن ..

وأخذ صوتها يتضاءل .. بينما صار وجه كابتن الفضاء .. كأنه قطعة من الجرانيت :

ـ (شيرين) ! سوف أكون صادقا معك .. إننا سنعمل على إبطالها قليلا .. أى بالقدر الكافى لتنشيط وإحياء هذا الكائن من جديد .. ولكن مع الاحتفاظ به سجينا .. ونحن على ثقة بأننا نستطيع الاتصال به تخاطريا .. أى بتبادل الأفكار !

وكان من الواضح أن كابتن (عادل) متوتر الأعصاب .. وتحت تأثير القلق والإثارة العنيفة .. وأخذ العرق يتصبب من كل جسده ..

ثم استطرد قائلا :

ـ ... إننا نعرف حجم المخاطرة .. ولكن لا بد لنا من مواجهتها حتى نمهد لأول اتصال بين الجنس البشرى .. وهذه الكائنات الغريبة الذكية ! .. ويمكن لهذا الكائن أن يخبرنا عن أمور فى الماضى البعيد .. عن تاريخ الكون .. لم نكن لنعرفها على الإطلاق !

صمت لعدة ثوان وأضاف قائلا :

ـ ... يجب ألا تتعرضا لهذه المخاطرة يا (شيرين) .. أنت و (شوقى) !

قاطعاه بصوت واحد :

ـ كلا .. سوف نبقى !

تنهد كابتن الفضاء (عادل) وقال :

ـ حسن ! إننا لن نخاطر تماما بدون خط دفاع .. فقد كانت هناك فى قاعة الشموس التسعين .. عدة ماسات ذات قوة غريبة .. ولابد وأن الأجناس القديمة قد استخدمتها .. عند محاولة السيطرة على مجرة (أندروميدا) .. وعندنا هنا البعض منها ..

ذهب إلى خزانة ضخمة مغلقة فى حجرة جانبية .. وأخرج الماسات ..

لم تكن مثل الماسات الثمينة العادية .. بل بدت ذات شكل دائرى .. وكبيرة الحجم مثل كف اليد .. كما أنها ذات لون أسود فاحم ..

وكانت كل ماسة تشكل المركز .. لطوق يثبت فوق الرأس .. مصنوع من معدن خفيف .. ذهبى .. وقد زود الخمسة أنفسهم بهذه

الأسلحة الدفاعية .. وذلك بوضع الأطواق فوق رءوسهم .. وتمكن الكمبيوتر الطائر .. من تأمين نفسه .. بربط ماسة القوة .. حول غلافه الخارجى الشفاف !

غمغم (مارد) فى حيرة :

ــ نحن لا نعلم كيف تعمل هذه الماسات .. والمفروض أنها ذات فاعلية !

قال (نبيل) بطريقة جافة .. وهو يطير بالقرب منهم :

ــ أعتقد أننا نستطيع أن نثق بالكائنات الغريبة القديمة .. المنتصرة .. هل أنت جاهز يا (عادل) ؟

أجاب كابتن الفضاء دون تردد :

ــ أجل !

ــ إذن دعنا نذهب ..

عادوا مرة أخرى إلى داخل الحجرة التى بها القفص البللورى .. وذلك الكائن الغريب .. ذو الرداء القلنسوى ..

وشاهد كل من (شيرين) و (شوقى) جهازا طويلا .. رمادى اللون .. يشبه الصندوق .. ومركبا على واجهته مضخم للصوت ..

وأخبرهما (مارد) :

ــ هذا هو المترجم التخاطرى الآلى .. الذى قمنا بتجهيزه .. وهو يقوى أساسا الأشعة الكهرومغناطيسية الضعيفة التى تصدر عن المخ .. ويسمح بنقلها من مكان لآخر .

وشرح الكمبيوتر الطائر الأمر موضحا :

ــ إن الماسات تحمى ضد الهجوم الفكرى .. والعقلى .. بإبطال جميع النبضات التخاطرية الخارجية .. ونحن نستطيع طرح الأفكار .. إلا أنه لا يمكن سماع الإجابات التخاطرية عليها .. غير أن هذا الجهاز سوف يأخذ نبضات الأفكار من الكائن ثم يترجمها إلكترونيًا إلى موجات صوتية فى حدود ٢٠,٠٠٠ ذبذبة فى الثانية .. أى صوت مسموع .. وهكذا يمكننا الاتصال بالكائن الغريب .. دون خطر !

واتجه إلى كابتن الفضاء .. الذى فتح مفتاح تشغيل المترجم الآلى .. ثم سار بخطوات متثاقلة إلى القفص البللورى ..

بسط يديه ثم حرك وحدة المقاومة المتغيرة .. بعناية وحرص شديدين .. بمقدار درجة واحدة .. ثم درجتين .. عندئذ خبا وميض الضوء النابض الإشعاعى .. بقدر بسيط فى البللورة المثلثة الكبيرة .. وخففت القضبان البللورية من درجة بريقها .. وفجأة لاحظ الجميع أن الكائن الغريب القلنسوى الشكل .. قد تقلقل فى رقاده ..

ابتعد كابتن الفضاء (عادل) عن القفص .. والكائن .. ووقف الجميع ساكنين .. مشدوهين .. منتظرين تطور الأحداث ..

بعد ذلك التفت أغطية وأحجبة المخلوق الغريب .. وانتقلت بضعف .. وبحركة دوّامية .. حول قلبه المركزى ..

وكانت هناك قشعريرة رقيقة .. نفذت إلى العقول .. من خلال حواجز ماسات القوة .. أدت إلى الإحساس بغشاوة خفيفة .. من الرعب .. لقد استيقظ الكائن الغريب .. الرهيب !

* * *

ـ ٥ ـ

أدرك كابتن الفضاء (عادل أشرف) .. بجسمه المتشنج .. المتخشب .. ذلك السكون المروّع ..الذى أصبح يسود المكان .. وقد توترت .. وشدت عضلات جسده إلى حد الانهيار .. وكان يكمن فى أعماق نفسه .. خوف لم يعهده من قبل .. فى جميع أطوار حياته المملوءة بالمغامرات .. رعب غريزى لا يظهر عادة إلا فى الكابوس .. أخذ قلبه يدق فى إثارة وعنف .. جعلا من الصعب عليه أن يتنفس !

* * *

تزحزحت الأحجبة المظلمة .. وأخذت تلتف بحركة دوامية من داخل القفص البللورى .. وبذل الكائن الأسود جهدًا .. فى زحزحة أطرافه .. وفى التحسس .. والاختبار الحذر لما حوله .. وذلك فى أثناء مقاومته البطيئة للركود الجزئى الذى كان ما يزال متأثرًا به ..

ومسّت الأغطية والأحجبة .. القضبان المتألقة .. ثم تراجعت وظلت ساكنة .. إلا أنها لم تعد كما كانت من قبل .. فقد دبت فيها الحياة الآن .. وأخذت تتموج بقوة رهيبة .. واثقة من نفسها .. رابضة .. ترقب ما حولها .. وتنتظر ..!

فى ذلك الوقت .. كان كابتن الفضاء (عادل) .. يعلم أن الكائن الغريب يراقبه ..!

وفجأة .. بدأ القلب المركزى المظلم .. أسفل الأحجبة .. يومض بشكل كئيب ..

فكر الكابتن (عادل) فى السدم الضبابية المظلمة .. التى شاهدها فى أعماق الكون .. وتذكر الثقوب السوداء .. القبور الفضائية ! وهى تلتهم ملايين النجوم .. إلى مصير مجهول .. ثم نظر إلى هذا القلب المركزى الواعى .. وأحس بأنه يتصف بالذكاء .. والحكمة .. شعر بأنه أمام قوة كونية كبرى .. لا تقاوم .. مثل الموت ! قوة أنشبت مخالبها الحادة .. الماكرة .. القاسية .. فى أعماق عقله .. ثم انسحبت تلك المخالب .. تمامًا مثلما فعل الجسد المادى للمخلوق ..

وقد قاومت ماسات القوة .. ذلك التأثير الرهيب للكائن ..

ولاحظ الكابتن (عادل) .. أنه وكذلك الآخرون .. مغلفين الآن بهالات معتمة .. تغطيهم بالكامل ! من الرأس .. حتى القدمين ..

وقد أدرك بعد ذلك أن (ماسات القوة) .. عبارة عن أجهزة استقبال ومحولات معقدة .. تعمل على تجميع قوة الدفع التخاطرية

لعقل الكائن الغريب .. ثم تضخمها .. وتستخدمها كحاجز وقائى ..

ويعتبر ذلك تطبيقا .. متطورا .. لمبدأ الحروب القديمة البدائية .. وهو محاربة الخصم .. بأسلحته ذاتها .. التى هى مكمن قوته ..!

أصبح الكابتن (عادل) متحمسا .. وممتنا كلية .. لماسات القوة .. كانت اللمسة الضعيفة لعقل الكائن الغريب .. ضد عقله هو .. تشبه لمسة البرودة القارصة المميتة .. فى الأعماق البعيدة للكون !

تحدث كابتن الفضاء (عادل أشرف) معبرا عن أفكاره .. بكلمات واضحة .. بحيث يسمعها الآخرون .. ويفهمونها بسهولة ..

وكان هذا هو الاختبار .. فإذا امتلك الكائن الغريب مقدرة تخاطرية حقا .. كما كانوا هم مقتنعين بذلك .. فلا بد من هتك أستار الزمن .. والتوغل فى أعماق تاريخ الكون .. وبالتفكير القوى .. والواضح .. يمكن عرض الفكرة .. بحيث تنطلق إلى الخارج .. من خلال الهالة المعتمة لماسات القوة ..!

* * *

أطلق كابتن الفضاء (عادل) أفكاره :

ــ هل يمكنك سماعى .؟!

انتظر دون إجابة .. وكأن المخلوق الغريب .. يراقب ويفكر قبل أن يرد ..

غاص قلب الكابتن (عادل) .. فهل أساء فهم السجلات والنقوش التى كانت محفورة على جدران المدن القديمة .. فى مجرة (أندروميدا) ؟ كلا .. إنه لا يعتقد ذلك ..!

أعاد كابتن الفضاء (عادل) إطلاق أفكاره :

ــ أريد إجابة ! هل تسمع أفكارى ؟

ساد صمت تام .. وخفقت أحجبة الشر .. التى من داخلها جثم القلب الأسود .. فى توتر .. ولم يكن هناك صوت من المترجم التخاطرى .. وبدون سبب معين .. محدد .. أحس كابتن الفضاء (عادل) بأن صمت الكائن الغريب .. هو نوع من السخرية منه !

سار بخطوات واسعة إلى الأمام . بينما يتأرجح فى داخله الآن .. غضب شديد .. نشأ بعضه من الخوف ..

ثم قال بعنف :

ــ أنت لا تسمعنى ! ولا تستطيع الكلام ! إذن سوف تنام مرة أخرى ! وبسط يده تجاه جهاز المقاومة المتغيرة ..

وعندئذ تموجت الأغطية بقوة .. وأعطى القلب المظلم ومضة عنيفة .. وصدر صوت عال على نحو مفاجئ .. فى هذا الجو المتوتر .. الصرير المعدنى للمترجم التخاطرى الآلى :

ــ إننى أسمعك أيها الإنسان !

سرت بين المشاهدين .. همسات لاهثة .. وتصبب من جسم كابتن الفضاء .. عرق غزير .. أنهى قشعريرته .. فقد تحقق الهدف المطلوب !

غير أن كابتن الفضاء لم يبعد يده .. عن المقاومة المتغيرة .. وأخذ ينظر فى خط مستقيم ..إلى قلب الكائن الغريب .. وجعل تفكيره قويا ومسيطرا :

ـ أنت تعلم بعدم قدرتك على الهرب ! وأنه يمكننى تحريك يدى .. فتجد نفسك فاقدًا للوعى والإحساس ..

ومرة أخرى .. لم يصدر أى صوت ..

استطرد الكابتن (عادل) :

ـ ... إنك تدرك هذا .. أليس كذلك ؟

وفى هذه المرة .. أجاب الصوت الآلى .. الثاقب .. ببطء مضجر :

ـ إننى أعرف هذا ..

كان كابتن الفضاء يبذل الجهد .. ليفوز بالتفوق النفسى .. على عقل ذكى .. وغريب .. بالقدر الذى يجعله غير قادر على فهمه .. وفوق ذلك فإن هذا العقل .. يدرك مقدرته على تقييده مرة أخرى .. فى سكون اللاوعى .. بالقوة المجمدة ..

وكانت هذه هى وسيلته .. لانتزاع ما يريد من معلومات .. عن سر تاريخ المجرات .. جزر الكون الكبرى ..

وأخذ التوتر الذى يفوق قدرة الجنس البشرى على تحمله .. ينمو داخل الكابتن (عادل أشرف) .. عندما شاهد نفسه عند بداية الطريق المؤدى إلى السر الرهيب .. الذى اقتفى أثره عبر المكان .. والزمان !

أطلق أفكاره ببطء شديد :

ـ أيها الكائن .. يوجد لدىّ شىء أستطيع أن أقدمه لك .. كما يوجد شىء تستطيع أنت .. أن تعطيه لى ..

تريث كابتن الفضاء قليلا ثم أضاف ببطء :

ـ ... هو المعرفة !

نطق الصوت المعدنى للمترجم الآلى .. ساخرا :

ـ المعرفة ! أنعطى المعرفة الخاصة بسادة المجرات .. إلى الجنس البشرى .. لكى يستخدمها فيما بعد .. ضدنا !!

أجاب الكابتن (عادل) بسرعة :

ـ ليس هذا النوع من المعرفة هو الذى نريده ! فنحن لا نريد معرفة نوع الأسلحة والقوى التى لديكم .. وإنما الذى نريده هو معرفة تاريخ المجرات .. وماضى السلالة التى تنتمى إليها .. جنس (شاندراكور) .. وهل يمكن تحقيق الاتصال بين الحضارتين ؟!

زادت سخرية الكائن .. عبر جهاز المترجم الآلى :

ـ هل يجب علىّ أن أبلّغ حكمة (الشاندراكور) إلى الجنس البشرى الضعيف ! كلا .. أبدًا ..

وكان كابتن الفضاء متوقعًا لهذه الإجابة .. فقال بثبات :

ـ تذكر اننى أستطيع إعطاءك شيئا ما مقابل ذلك !

رد صوت الكائن :

ـ وما هو ذلك الشىء الذى تستطيع إعطائى إياه .. أيها الإنسان !

قال الكابتن (عادل) بسرعة :

ـ الحرية !! فأنا أستطيع تحريرك من القوة المجمدة .. التى تحيا فيها سجينا .

واستطاع بهذه الكلمات .. أن يقنع الكائن الغريب .. وقد عرف ذلك من الحركة الدوامية المفاجئة .. لأغطية الكائن .. وأحجبته .. ومن النبضات الدوّارة .. التى سرت خلال الجسم المتماوج للمخلوق ..

انطلق صوت (شيرين) .. وأصبح وجهها شاحبا .. مروعا .. وهى تصيح :

ـ (عادل) !! يجب ألا تحرر هذا الكائن .. حتى لو كان ذلك فى مقابل .. المعرفة !

صرخ (شوقى) :

ـ إن هذا جنون .. بل انتحار !

ولم يستدر الكابتن (عادل) وهو يجيبهم :

ـ إننى لن أحرره هنا .. فلا داعى للجزع .. فسوف تحمله مركبة فضائية صغيرة .. وهو ما يزال داخل حالة السكون ..بعيدا عبر أعماق المجرات .. ثم تتولى وسائل التحكم الآلية ..إزالة القوة المجمدة ..

ثم كرر الكابتن (عادل) للكائن ما قاله من قبل :

ـ الحرية !! ولكن ليس فورا .. وإنما فى آخر الأمر !

فأجابه الصوت المعدنى الكئيب للمترجم التخاطرى الآلى :

ـ سوف يحقق لى إخوانى ذلك .. عندما يحضرون .. ويدمرونكم!

أحس الكابتن (عادل) بالدهشة .. إذ لم يخمن الكائن الغريب .. كم انقضى من عصور .. وهو مضطجع فاقد الوعى .. مجمدا !

وكم مرت من أحداث خلال هذه العصور !

رد كابتن الفضاء ساخرا :

ـ هل حضر إخوانك من قبل ؟ أم أنهم أتوا إليك بينما كنت راقدا مجمدا .. أسفل قاعة الشموس التسعين ؟!

كان هناك تردد واضح .. وصمت .. من جهة المخلوق الغريب .. وأخيرا ظهر السؤال المضاد :

ـ ما هو الضمان الذى يجعلك تنفذ ما اتفقنا عليه .. أيها الإنسان ؟

أضاء عقل كابتن الفضاء (عادل أشرف) .. ابتهاجا بالنصر .. أطلق أفكاره بسرعة :

ـ لا يوجد ضمان .. ما عدا الوعد الذى أعطيته لك .. ولا يوجد أمامك أى خيار آخر .

رد الكائن الغريب بقسوة :

ـ يجب أن أتحرر .. لهذا سوف أثق بالإنسان .. وسأعطيك كل ما عندى من معرفة .. فى مقابل الحرية ..

أطلق (مارد) صوتا يشبه الصفير قائلا :

ـ لقد حققنا ما نريد .. وانتصرنا عليه !

سأل كابتن الفضاء :

ـ ماهو أصل جنس (شاندراكور) !

فكر الكائن الغريب طويلا .. وهو يطوى أغطيته وأحجبته ثم يبسطها ... وأخيرا جاء صوت المترجم المعدنى الكئيب :

ـ نحن السلالة العظيمة (شاندراكور) .. لسنا من نفس اللحم والدم اللذين تتكون منهما أجسامكم .. كما أننا لا نحيا مثل حياتكم .. نحن لسنا أطفالا لضوء زائل ! وإنما للظلام الأبدى .. أجل .. نحن أطفال السديم المظلم وليس المجرات المضيئة ! ولذا فلسنا مقيدين بعظام صلبة ولحوم لينة .. التى سرعان ما تتقوض وتموت .. وإنما أجسامنا تشبه السحب المعتمة دائمة التغيير .. حيث كانت نشأتنا ..

وشعر كابتن الفضاء بصدمة فى الذاكرة .. فقد تذكر كيف أن النظرة الأولى لسلالة (شاندراكور) .. جعلته يقارنها .. بالومضات اللولبية للسدم المعتمة خارج المجرة .. والثقوب السوداء .. قبور الفضاء ..

وكان يبدو أن الصوت المعدنى للمترجم .. يزداد ارتفاعا وافتخارا :

ـ ... إننا جنس (شاندراكور) ..ذهبنا منذ زمن بعيد جدًا من مأوانا المظلم فى مجرة (أندروميدا) .. نحن القادرون على الطيران فى الفضاء بأجسامنا .. ولسنا فى حاجة لسفن آلية مجهزة ! وقد احتللنا مجرات متعددة للسيطرة عليها .. والاحتفاظ بها .. من أجل جنسنا .. وهكذا أصبحت عوالم ضخمة من النجوم تحت سلطاننا ..

قاطعه كابتن الفضاء قائلا :

ـ كل شىء ما عدا جنس (البورمو) ! فمن أين جاءت هذه الكائنات ؟

تحدث صوت الترجمة بكلمات خفيضة .. ومع ذلك كانت تنبض بالكراهية .. المريرة ..

ـ جنس (البورمو) ! تلك المخلوقات الضعيفة .. التى تقل قيمتها عن الغبار والتى ارتفعت منذ الميلاد الأول لها .. كتحد نهائى لنا ..!

تصلبت ملامح كابتن الفضاء (عادل) .. كأن مداخل الماضى السحيق .. المفقود فى تاريخ الكون .. قد فتحت مصاريعها تماما أمامه :

ـ حدثنى عنهم أكثر ..

جاءت الإجابة بطيئة حزينة :

ـ كما قالت الأساطير .. كانوا موجودين قبل جنس (شاندراكور).. وهم لا يشبهوننا .. ولا يشبهون أى سلالات أخرى .. كانوا على قدر كبير من الحكمة .. إلا أنهم كانوا سابحين فى دنيا الخيال .. كانوا يحلمون بكون تحكمه العدالة تماما .. وقد شرّعوا فى إنجاز ذلك .. إلا أنهم عجزوا ! فعادوا إلى كواكبهم الخفية .. وهم فى حالة إحباط ! إذ إنهم لم يستطيعوا التكيف مع القوى والظروف المتغيرة .. لكافة إمبراطوريات الفضاء .. فى الكون !

وعندما توقف الصوت الآلى لجهاز المترجم التخاطرى .. أحس كابتن الفضاء برعشة عنيفة فى أعصابه ..

لقد تبدد غموض .. وسر الكون أخيرا .. فهناك كائنات أخرى .. أقوى .. وربما أذكى من الجنس البشرى .. وقد عاش الإنسان لزمن طويل .. يظن أنه العاقل الوحيد فى الكون كله .. كانت هناك

إذن أجناس أخرى .. تملك بذرة القوة .. والقدرة .. وهى التى ربما استطاعت فى يوم ما .. أن توحد الكون .. وإمبراطوريات الفضاء تحت ظل قانون العدالة !

وأدرك كابتن الفضاء (عادل) .. أنه يبدو أن خلف هذا الكائن الغريب .. أسرارا أعمق وأكثر غموضا !

همست (شيرين) متهيبة :

ــ إذن هذا هو سر الكون .. الذى يعيش فيه الإنسان !

تساءل كابتن الفضاء قائلا :

ــ ماهو موطن جنس (البورمو) ؟

جاءت الإجابة سريعة .. حاسمة :

ــ إن هذا الأمر لا يعلمه حتى سلالة (شاندراكور) .. ولو أنه توجد عادات وتقاليد !

وهنا انتهى الحديث المترجم من المخلوق الغريب .. ثم هيمن جمود متوتر غير عادى .. على أغطيته وأحجبته الدوامية ..

وتابع كابتن الفضاء حديثه بصوت أجش :

ــ ماهى هذه العادات والتقاليد ؟ تحدث إذا كنت ترغب فى أن تنال حريتك !

وكان غافلا .. عن شبح رمادى صغير .. انسل إلى داخل الحجرة فى صمت ..

وفجأة .. تحدث الصوت المترجم للكائن الغريب .. بسرعة :

ــ سوف أخبرك بما أعرفه .. فربما يجيب ذلك عن أسئلتك .. استمع إلى جيدا !

انحنى الجميع فى اهتمام إلى الأمام .. وهم متلهفون لسماع كل كلمة ..

وقد راى كابتن الفضاء (عادل) بعد ذلك من ركن عينيه .. حركة مفاجئة ! إذ شاهد (زومر) الكائن القمرى الصغير .. مندفعا خلسة .. ولكن بسرعة خاطفة .. نحو (شيرين) ! وسبب له هذا الإدراك صدمة مباغتة .. فقفز نحوها .. وهو يصيح ليحذرها .. وكان يعلم عندما فعل ذلك .. أن السهم قد نفذ ! وأنه ارتكب خطأ قاتلا !

لقد نسى العقل التخاطرى .. ذا القدرة العالية .. الخاص بالمخلوق القمرى (زومر) ..

ولاريب أن الكائن الغريب .. الذى يربض داخل القفص البللورى .. حوله .. ووجد الأداة المستقبلة .. التى ليس لها خط دفاعى ..

وكان كل هذا الحديث السريع .. والوعد بالجزء الأخير من المعرفة .. مقصودا به صرف انتباههم .. عما سوف يحدث !!

قفز (زومر) مباشرة .. نحو وجه (شيرين) ! وأمسك فكاه .. بماسة القوة .. وألقاها بعيدا عن رأس (شيرين) .. وسقط (زومر) على الأرضية آخذا الماسة معه .. ومكث طيعا للحظات !

واندفع كابتن الفضاء (عادل) اندفاعا خاطفا .. كومضة البرق .. نحو (شيرين) .. ولأنها استدارت بسرعة .. فى اللحظة التى تركتها الهالة الواقية .. فقد اتجهت نحو المقاومة المتغيرة .. للقفص البللورى !

ولم يعد الكائن الغريب فى حاجة للمخلوق القمرى .. إذ أصبح يمتلك أداة أفضل منه !

وبسرعة خاطفة .. فتحت (شيرين) بيدها .. المقاومة المتغيرة .. إلى آخر مداها .. فى لحظة واحدة ! وصار الكائن الغريب .. خارج قضبان القفص البللورى .. فى أقل من ثانية .. ثم أمسك بـ (شيرين) ! وعندئذ .. التفت الأغطية .. والأحجبة الداكنة .. بسرعة .. وطوقت (شيرين) وهى واقفة .. تكاد لا تعى شيئا مما يحدث لها ..

قفز كابتن الفضاء إلى الأمام .. وهو يصرخ بصوت أجش .. وزأر (مارد) .. وصاح (شوقى) .. واقترب الكمبيوتر الطائر لكنهم تراجعوا .. وتقهقروا من جرّاء ما كان يحدث لـ (شيرين) !

فقد بدأ الكائن الغريب الضبابى .. يتلاشى داخل جسمها .. وأخذت الأغطية والأحجبة الداكنة .. حتى القلب المركزى الأكثر كثافة وظلاما .. تغوص فى لحم وجسد (شيرين) !

تذكر كابتن الفضاء (عادل) ما قرأه .. فوق جدران المدينة القديمة فى مجرّة (أندروميدا) :

ـ إن ماسات القوة .. هى الحماية ضد قدرة الامتلاك الكلى ! .. الامتلاك الكلى !!.. احتلال أجساد الكائنات الأخرى !!

لقد أدرك الكابتن (عادل) حينئذ بوضوح .. وهو يعانى العذاب الشديد ..ما الذى كانت تعنيه النقوش .. والسجلات المحفورة ..

لم يكن مجرد امتلاك فكرى .. وإنما جسدى أيضا ..احتلال لجسم الضحية .. بفعل قوة جبارة غير بشرية .. لا يعرفها الإنسان .. تتلاعب بالجسيمات دون الذرية .. المادية !

* * *

وقفت (شيرين) أمامهم .. بوجه شاحب .. يشبه القناع .. وعينين غائرتين .. بظلال دوارة .. كالدوامة .. وهى تنظر لكابتن الفضاء .. وقد هدته الصدمة .. وخرجت من بين شفتيها المتيبستين .. كلمات ساخرة .. لا تنتمى لها فى الحقيقة :

ــ والآن .. أيها الإنسان .. سوف أنال حريتى !!

ــ ٦ ــ

عندما كانوا واقفين .. جامدين .. مذهولين .. خطرت لذهن الكابتن (عادل) .. الحقيقة المروعة ..

أنه أخيرا أخفق فى تحقيق هدفه .. لشدة التلهف عليه !

لقد انطلق أفراد دورية الفضاء فى أعماق الكون .. خلال السنوات التى قاموا فيها بمغامراتهم .. واجهوا فيها العديد من الأعداء .. والخصوم الخطرين .. وتغلبوا عليهم ..

وربما أن ذلك عودهم على فرط الثقة .. وجعلهم يجرءون على مواجهة أخطر أعداء الإنسان .. على مدى سنوات طويلة .. ومجابهة كائن غريب .. بقى على قيد الحياة من العصور القديمة .. كان شينا تافها بالنسبة لهم !

همس (شوقى) ووجهه يشبه الأموات :

ــ لقد استولى على (شيرين) ... انقضى الأمر . ولم يعد لدينا ما نستطيع عمله !

(شيرين) ! ليست (شيرين) .. هى تلك الدمية الجامدة .. ذات الوجه المظلم والعينين المعتمتين .. التى تقف أمامهم فى تحد .. وليست الكلمات الساخرة التى سمعوها .. هى كلمات (شيرن) :

ــ هل أستطيع إمدادكم بمزيد من المعلومات أيها البشر ؟ قبل أن أعود مسرعا لأنضم ثانية مع إخوانى فى الحرب الدائرة .. ضد جنس (البورمو) ! وأدرك كابتن الفضاء (عادل) أن الكائن الغريب سوف يدمرهم .. قبل رحيله إلى أعماق الكون ..

وكان من الممكن تحقيق ذلك .. باستخدام (شيرين) كسلاح ! ولم تكن هناك إلا وسيلة واحدة لإيقاف ذلك .. وهى تدمير الأداة التى سوف يستخدمها .. أى قتل (شيرين) !!

وجاء الصوت المدوى للروبوت العملاق (مارد) .. محاطا بالشك :

ــ أيها الرئيس .. ماذا نفعل ؟!

وكان الجميع مدركين للطريق الرهيب .. المسدود ! وأن شينا واحدا .. يستطيع إيقاف الكائن الغريب ولكنهم لا يقدرون على عمله .. حتى لو كان الموت الفورى .. ينتظرهم !

اندفع كابتن الفضاء (عادل) بغضب .. موجها لنفسه اتهاما مؤلما .. فقد أدى تهوره .. وشغفه الشديد الزائد لحل غموض الكائنات الذكية فى الكون .. ومحاولة التقاء الحضارة البشرية معها .. إلى وضع هذه النهاية لأفراد دورية الفضاء .. و (شيرين) و(شوقى) . يجب ألا يحدث هذا لهم !

وشمله الغضب القديم .. العاطفة .. التى ليست إحساسا بشريا .. وإنما شعورا خاليا من الشفقة ! تعلمه من مدرسيه الغرباء .. منذ زمن بعيد .. فوق سطح القمر !

خرج من الشفتين المتيبستين لـ (شيرين) كلام ساخر آخر .. للكائن الغريب :

ـ أسرع أيها الإنسان ! ما هى أسئلتك ؟ فإن إخوانى ينتظروننى فى المعركة الكبرى بين المجرات !

ومضت فى ذهن كابتن الفضاء (عادل) .. فكرتان متزامنتان .. الأولى .. أن الكائن عاد يتحدث مرة ثانية .. ليشتت أفكارهم .. ويتحرك داخل جسم (شيرين) خلسة .. بحيث ينتزع منهم ماساتهم الواقية .. ليصبحوا تحت سيطرته تماما !

والفكرة الثانية .. هى لمحة عبرت عقله .. مثل ومضة ضوء خفيفة لأمل ضعيف .. فقدأدرك كابتن الفضاء (عادل) بأنه يتفوق على الكائن الغريب .. فى أمر ما .. ويجب أن يستخدمه كسلاح ضده . وليس هذا السلاح ماديًا .. إذ إنه لا يستطيع تدمير الكائن .. دون قتل (شيرين) ! وإنما كان سلاحه الأخير .. خطة نفسية !

تحدث كابتن الفضاء قائلا :

ـ أيها الكائن ! ارجع إلى إخوانك من جنس (شاندراكور) .. إذ كنت تستطيع العثور عليهم ! عد إلى مجرة (أندروميدا) .. لتحتفل بالانتصار على جنس (البورمو) !

أوقف الكائن الغريب حركته المتسللة الماكرة .. فقد لا حظ شيئا

فى تفكير كابتن الفضاء ..

استطرد الكابتن (عادل) قائلا :

ـ ... أتدرى كم من الوقت ظللت فيه مجمدا أسفل قاعة الشموس التسعين ؟ هل هى سنوات ؟ أم قرون !.. وخلالها لم يحقق إخوانك النصر .. بل لاقوا الموت ! لقد هلكوا منذ زمن طويل جدا .. وهم غير معروفين فى الكون !

تريث كابتن الفضاء للحظات ثم أضاف :

ـ ... وأنت آخر كائن فى سلالة (شاندراكور) !!

ظهر الازدراء والغضب فى كلمات الكائن .. التى جاءت من شفتى (شيرين) :

ـ هذا كذب وافتراء ! فلم يستطع أى جنس أن يتفوق على (الشاندراكور) !

أجاب الكابتن (عادل) بسرعة :

ـ لقد حدثت أمور كثيرة .. بينما كنت نائما مجمدا ! والآن لا يعيش فى أى مجرة أحد كائنات جنس (شاندراكور) .. إلا أنت !!

صمت للحظة ثم أردف :

ـ ... إن النقوش والسجلات فوق جدران المدن القديمة فى كواكب مجرة (أندروميدا) تؤكد ما أقوله لك .. إن السلالة التى تنتمى إليها .. لم يعد لها وجود !

انطلق من شفتى (شيرين) .. سيل من كلمات الكائن المتلاحقة :

ـ هذه خدع وأكاذيب ! إننى اعتقلت هذه الفتاة .. وسيطرت

على مخها وعقلها وذكرياتها .. ولا أرى داخلها أى من المعلومات التى تزعمها !

وكان هذا هو ما يتمناه كابتن الفضاء .. وبدأ يكثف من هجومه النفسى .. فورا :

ـ ... إنها لم تذهب إلى مجرة (أندروميدا) أبدا .. ولهذا لم تشاهد السجلات والنقوش ! وإنما أنا الذى رأيت .. ويمكننى أن أثبت لك كل ما قلته !

جاء الرد ساخرا :

ـ إنك لا تستطيع إثبات ذلك !

فقال كابتن (عادل) ووجهه شاحب كالرخام :

ـ بل أستطيع ! دع الفتاة .. واستولى على جسمى أنا .. وابحث فى عقلى وذكرياتى عما شاهدته .. وهكذا تعرف الحقيقة !

انتظر كابتن الفضاء الإجابة .. وهو فى حالة توتر شديد .. فهو يعلم أنها فرصته الوحيدة .. والأخيرة لإنقاذ (شيرين) .. من بين براثن هذا الكائن الرهيب ..!

ـ ٧ ـ

دارت الظلال فى عينى (شيرين) الشاحبتين .. بحركة دوامية .. وأدرك كابتن الفضاء .. أنه قد نجح فى زرع شك رهيب فى عقل الكائن الغريب .. فهل يطرد هذا الشك ويرفضه ؟

ولكن لا يوجد مخلوق فى الكون كله .. تكلم بهذا الحب .. والفخر عن بنى جنسه .. ثم يتحمل أن يبقى طويلا يساوره الشك !

ضحك كابتن (عادل) بصوت لا تستسيغه الأذن .. فى هذا الصمت المطبق . ورفع يده بحركة سريعة .. وأمسك بماسة القوة من على رأسه .. وقذفها بعيدا .. ثم وقف أعزل .. دون أى حماية !!

وضحك مرة أخرى .. مواجها الظلال الداكنة .. الظاهرة فى عينى (شيرين) :

ـ ... إننى أقدم لك سلاحا قويا .. ضد رفاقى .. أقوى من ذلك الذى تحمله .. وأنت ما تزال مترددا فى أن تأخذه ! أنت خائف إذن من معرفة الحقيقة !

همس الصوت الغريب .. من بين شفتى (شيرين) :

ـ كلا .. إن جنس (شاندراكور) لا يعرف الخوف !

وصارت الخطوط الخارجية المشوهة .. والمطموسة تماما .. لجسم (شيرين) .. غير واضحة المعالم .

ثم أخذت تتدفق تدريجيا .. كلما تنقلت هذه الثنائية الغريبة .. والمروعة .. واتخذ الظل المحجب .. والمغطى .. شكلا خاصا به وهو يدور كجسم صلب فى حركة دائرية ..

وأخيرا .. انقشعت الغمة .. وأصبحت (شيرين) حرة !! وسقطت بعد ذلك .. وهى تصدر أنينا خافتا .. علامة على اقتحامها .. عالم اللاوعى ..

وأخذ الكائن الغريب .. يحوم حول المكان .. ثم بدأ فى الحركة .. أخذ الروبوت العملاق (مارد) .. خطوة كبيرة للأمام .. واقترب الكمبيوتر الطائر .. إلا أن كابتن الفضاء قال بصوته الحاد .. القطع :

ـ توقفا ! سوف أقوم بهذا العمل بطريقتى الخاصة ! وأطاع كل من (مارد) و (نبيل) .. ففى هذه المعركة القائمة بين عقلين .. للفوز بالسيادة .. والتفوق .. فإنهما لا يستطيعان تقديم المساعدة الحاسمة ..

راقب كابتن الفضاء (عادل) .. هذا الشكل المظلم .. الداكن .. القادم بسرعة .. وفى هذه اللحظات شعر بالخوف .. الذى لم يشعر به إنسان منذ العصور القديمة عندما نشبت حروب الفضاء .. عبر نصف الكون ..

تموجت الأغطية السوداء .. واتسعت .. وغطاه الظل المجسم .. مانعًا الضوء من الوصول إليه .. وكان كل قلب الكائن الغريب .. يومض فى ثبات .. ومجموعة من الومضات الصغيرة المظلمة .. فى حالة حركة دائمة .. وسرعان ما أخذت الظلال المجسمة .. تدور وتنعطف حوله .. فيما يشبه القناع الداكن .. ثم أصبح الكائن الغريب داخله .. فى لحمه .. وعظامه .. ومخه .. فى خلاياه .. وأعصابه .. مباعدًا بين ذارت مادته الفعلية .. بحيث تتداخل مع جسيماته .. مما جعل كابتن الفضاء .. يصيح من شدة الألم .. غير الإنسانى .. إلا أنه كان بلا صوت !

ووقع الصدام بين عقليهما .. وكان ذلك بالنسبة لكابتن الفضاء (عادل أشرف) مثل انفجار نجم .. نوفا .. ولكنه بارد إلى حد بعيد .. داخل عقله ..

اضطرب الكون .. ثم أظلم تمامًا ! صار الاثنان واحدًا .. كابتن

(عادل) والكائن الغريب .. وقد حدث ذلك بعيدًا عن دائرة الزمن .. وانفتح عقله للكائن .. وحياته بأكملها .. وكل شىء كان قد فكر فيه .. ونفذه .. وشاهده .. سواء نسيه .. أو تذكره ..

كما أن عقل الكائن الغريب أيضًا .. صار مفتوحًا له بسبب هذا التوحد الخارق للطبيعة .. لم يستطع كابتن الفضاء (عادل) .. أن يفهم كل ما وجده .. إذ كان الكثير من المعلومات مبهمًا لأى إنسان .. وبدا عقل الكائن أطول عمرًا .. وأقوى قدرًا .. بدرجة هائلة .. بحيث كان شعور كابتن الفضاء .. نوعًا من رهبة التضاؤل .. فى وجود الكائن الغريب ..

ولم يكن عقله شريرًا .. وإنما فقط عقلاً مختلفًا تمامًا ! وهو الآن يشاركه فى بعض ذكرياته .. فالطيران الحر الخاطف .. على امتداد شواطئ السديم المظلم .. وكأنها شواطئ الأبدية .. والاندفاع المتهور .. نحو أعماق الكون .. العوالم السحابية .. للضباب والنار الباردة .. والغموض .. والمهابة .. والروعة لعظمة الكون .. الأفكار البهيجة .. والمقاومة المقيدة .. الوحدة .. ومعرفة الخوف .. والقشعريرة .. والزهو والكبرياء .. بالانتساب للنجوم .. وإمبراطوريات الفضاء !

* * *

كانت هذه لمحات .. ونظرات خاطفة .. لكنها تكفى لكى يتوقف القلب الإنسانى .. من شدة الدهشة .. وبعد ذلك رأى الآن ذكرياته الخاصة .. تعود إليه .. من خلال عقل الكائن الغريب .. الذى كان يتفحصه بدقة .. بحثًا عن الحقيقة ..

إن الكائن الغريب شاهد عوالم هالكة .. وخاوية .. وكواكب مهجورة .. وقاعة التسعين شمسا .. والمزارات القدسية للمجد الماضى .. الذى طواه النسيان .. وأيضا النقوش التى كانت تتحدث بجلال عن الحروب الكونية .. والأجناس التى انقرضت .. وهلكت منذ زمن بعيد .. وسجلات الموت .. والهزيمة .. والسجلات التذكارية .. لإمبراطورية الفضاء ..

وكان شعور الكابتن (عادل) ممتلئا بالرهبة .. عندما اطلع على كل هذه الأسرار الكونية .. إن التيه .. والزهو .. والثقة .. كلها اهتزت كثيرا .. بسبب نذر يسير من المعرفة .. والظهور القاسى الذى لا يرحم .. للحقيقة !

وشعر كابتن الفضاء .. باللحظة التى توقف فيها الكائن .. عن الرجاء والأمل :

ــ إننى حقا الأخير ! فقد هلكت سلالة (الشاندراكور) .. وأنا آخرها !

وفى الحال .. تراخت القبضة الرهيبة المتواصلة .. التى كانت تحيط بعقل كابتن الفضاء (عادل أشرف) .. ثم ضعف وجود الكائن .. داخل جسده .. وهُزم تحت وطأة الحقيقة المروعة .. وبدا كما لو كان الكائن .. قد مات !

وكان الكابتن (عادل) يعرف وحشة اليأس المطبق .. والوحدة المطلقة !

مرت فترة وكأنها بلا نهاية .. تلك التى استغرقها الكائن الغريب .. قبل أن ينشط .. ويتحرك .. ثم أخذ ينسحب بمادته الضبابية من جسم وعقل كابتن (عادل) .. ببطء شديد .. متناه .. كأنما قد مسته

يد الموت .. برقة .. تركه .. وأصبح طليقا ..

وكانت أحجبة الكائن المعتمة .. تشبه عباءات الدفن المطوية .. طيا حزينا .. حول قلبه !

وتحدث الكائن .. بآخر ومضة من الفخر .. والزهو .. الزائلين .. وخرجت الكلمات قوية حادة .. من جهاز المترجم الآلى التخاطرى :

ــ لقد هزمنا الزمن !!

وكان الأمر العجيب .. أن كابتن الفضاء (عادل أشرف) .. لم يعد يشعر بالخوف أو الكراهية .. تجاه الكائن الغريب .. بل بالشفقة .. والأسى ..

قال الصوت المعدنى الكئيب لجهاز المترجم الآلى :

ــ ... انتهت المعركة الكونية الأخيرة ! وطويت صفحاتها .. وأنا آخر من بقى من كل سلالة (الشاندراكور) العظيمة !

ارتعدت الأحجبة المظلمة .. وتحركت حركة دوامية .. وهى تغطى .. وتغلف قلب الكائن الغريب .. وكان يبدو أنه ينظر حوله .. ولكن ليس تجاه كابتن الفضاء (عادل) أو (شيرين) أو (شوقى) أو (مارد) أو (نبيل) .. وإنما نحو شىء ما بعيد .. وراءهم !

وأدرك كابتن (عادل) مدى عظمة هذا الكائن الغريب :

ــ ... سوف أعود إلى مسقط رأس قومى .. السديم المظلم داخل مجرة (أندروميدا) .. الذى أعطانا الحياة .. سأرجع إلى إمبراطورية الفضاء .. شواطئ الأبدية .. فمن المناسب أن يعود آخر سلالتنا إلى هناك .. حيث تكون نهايته .. وداعا !

وانسل الشكل الضبابى الأسود .. من بينهم مبتعدا .. تحرك وفقا لما يمليه عليه .. قدره التعس .. واتجه بدون انحراف .. وبلا تعجل .. إلى خارج الغرفة ..

وراقبه فى أثناء خروجه .. كابتن الفضاء والآخرون .. عبر الكائن الحجرة المركزية الكبيرة بالمختبر .. ثم انطلق بعيدا .. حتى غاب عن النظر .. من خلال الممر المؤدى لأعلى .. إلى سطح القمر ..

انصتوا جميعا .. إلا أنهم لم يسمعوا أى أصوات لأبواب تفتح .. أو تغلق .. وكانت (شيرين) محمولة بين يدى الروبوت العملاق (مارد) .. وفى حالة دوار شديد ..

أشارت فجأة لأعلى وهمست :

ــ انظروا .. هناك بين النجوم ..

نظروا جميعا .. من خلال قبة سقف المختبر الزجاجية .. ورأى كابتن الفضاء .. الكائن الغريب .. المتشامخ .. والممتلئ فخرا .. والذى راقب مولد إمبراطورية الفضاء .. وشارك فى السيطرة على عشرات النجوم ..

ارتفع الكائن ببطء .. ومهابة .. باسطا أغطيته .. كأنها أجنحة .. نحو أعماق الكون .. متجها لأعلى .. إلى حيث لا يعلم أى إنسان .. بدا شكلا مظلما وحيدا .. مندفعا إلى اللانهاية !

قال كابتن الفضاء (عادل أشرف) بغموض :

ــ فى مكان ما .. هناك فى مجرة (أندروميدا) .. حيث يتجه الكائن الغريب .. آخر سلالة الجنس العظيم (شاندراكور) .. يوجد عالم غامض .. لن نراه مطلقا .. وإنما نحن نعرفه فقط !!

امتلأ الجميع بأفكار كونية .. عجيبة .. أقوى من أى حديث .. وهم يراقبون السماء .. فى ذهول .. ظلام يفضى إلى ظلام فى أعماق الكون .. حيث كانت تزدهر يوما .. ما .. إمبراطوريات الفضاء .. بعيدا هناك ..

عند شواطئ الأبدية !

* * *

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

حديقة حيوان بين الكواكب

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ـ ١ ـ

كان حدثا فريدا .. لا يتكرر إلا كل عام .. فوق كوكب الأرض .. عندما تهبط سفينة الفضاء الفضية العملاقة .. التى تحمل حديقة الحيوان .. المتنقلة بين الكواكب ..! فى زيارتها السنوية .. التى تستمر عشر ساعات فقط ..

وقبل بدء اليوم ـ العاشر من أكتوبر ـ يزدحم الناس .. وتتكون صفوف طويلة من الأطفال والكبار .. وكل منهم يقبض جيدا على نقوده .. وينتظر بلهفة رؤية ما هو جنس المخلوقات الغريبة .. الذى سوف يشاهده .. فى حديقة الحيوان هذا العام ..

فى الماضى .. كانوا يحدقون أحيانا فى مخلوقات ضخمة ذات ثلاثة أرجل من كوكب الزهرة .. أو كائنات طويلة نحيفة من كوكب المريخ .. أو حتى أشكال مخيفة تشبه الثعابين من أحد كواكب نجم ألفاقنطوروس ..

وهذا العام .. بينما السفينة العملاقة الدائرية .. تهبط ببطء فوق الأرض .. فى منطقة انتظار هائلة بالمدينة .. كان الناس يرقبون بخوف .. فى أثناء الانزلاق الجانبى البطىء لجوانب السفينة .. لتكشف وراءها أقفاصا حديدية مألوفة .. وداخلها .. كان هناك كابوس فظيع !

كائنات تشبه الخيول الصغيرة .. ذات قرون رفيعة .. تتحرك بسرعة .. وترتعد .. وتهدر باستمرار بلغة عالية الطبقات ..

التف سكان الأرض حول السفينة .. بينما طاقمها يجمعون بسرعة النقود التى تنتظرهم ..

تجمعت الحشود فى صفوف منتظمة .. خائفة .. وفى نفس الوقت منبهرة .. بهذه المخلوقات الغريبة .. التى تبدو مثل الخيول الصغيرة .. ولكن لها قرون .. وتتسلق جدران الأقفاص البيضاوية .. كالعناكب تماما !

صاح رجل قصير القامة .. وهو يهرول مبتعدا :

ـ إن هذا يستحق النقود التى دفعتها فعلا .. إننى ذاهب إلى منزلى لأحضر زوجتى وأولادى .. ليشاهدوا هذه الكائنات العجيبة !

استمر الأمر على هذا الحال .. طوال النهار .. حتى مر عشرة آلاف شخص .. أمام الأقفاص الحديدية .. المثبتة فى جانب السفينة الفضائية ..

وبعد انقضاء العشر ساعات ..

ارتفعت السفينة عن الأرض .. فى مهابة .. وقال طفل لأبيه :

ـ إن هذه كانت أجمل حديقة حيوان شاهدتها

ـ ٢ ـ

بعد مرور شهرين .. وزيارة ثلاثة كواكب أخرى .. هبطت سفينة الفضاء الدائرية العملاقة .. على الصخور الحادة المعتادة لكوكب (فيجا) واندفعت الخيول العنكبوتية ذات القرون .. خارجة بسرعة من أقفاصها .. ثم انطلقت فى اتجاهات مختلفة .. تبحث عن مأواها بين الصخور ..

وفى أحد الكهوف .. كانت المخلوقة الأنثى سعيدة .. لعودة زوجها وابنها .. هدرت محيية لهما .. بلغة غريبة عالية الطبقات .. وأسرعت لاحتضانهما .. قائلة :

ـ لقد مضى وقت طويل منذ خروجكما .. هل كانت رحلتكما ممتعة؟

أومأ المخلوق الذكر برأسه موافقا وقال :

ـ إن صغيرنا استمتع بها حقا ! لقد زرنا أربعة كواكب .. وشاهدنا كائنات غريبة !

تسلق المخلوق الصغير جدران الكهف بأرجله العنكبوتية .. وهز قرنيه وهو يقول :

ـ المكان المسمى .. كوكب الأرض .. هو أجملها كلها .. الكائنات العجيبة هناك ترتدى ملابس على جلودها .. وتسير على ساقين .. شكلها غريب حقا !

سألت المخلوقة الأنثى :

ـ ولكن أليست خطرة ؟

أجاب المخلوق الذكر :

ـ كلا .. فهناك قضبان حديدية تحمينا منها .. ولقد مكثنا طول الوقت فى سفينة الفضاء .. المرة القادمة يجب أن تأتى معنا .. إن هذه الرحلة تستحق بالتأكيد النقود التى دفعناها !

أومأ الصغير برأسه وقال :

ـ إنها كانت أجمل حديقة حيوانات رأيتها فى حياتى !

* * *

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

الحلم الأخير

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١ شارع سلامة ـ العباسية ـ القاهرة ـ ت ٨٥٥٥٠٩

كان سقف المدينة عبارة عن أكثر من كيلو متر .. من جدار بحر أسود من المياه .. وقد أقيمت المدينة فى أعماق البحر .. تحت الأمواج .. وفوقها مئات الضغوط الجوية ..

وفى السجلات الرسمية .. كان اسم المدينة (الملجأ رقم ٤٤) تحت البحر .. لكن هذه السجلات مثلها مثل بقية العالم البرى .. كانت ممزقة .. ومتناثرة ! واستبدل السكان .. اسم (مدينة الأعماق الجديدة) .. بالملجأ رقم ٤٤ ..

وقد حددت السلطات البرية التى هلكت منذ زمن طويل .. عدد السكان بأحد عشر ألف نسمة .. وحافظت على هذا العدد .. سياسات التحكم الصارمة ..

ويرجع تاريخ (مدينة الأعماق الجديدة) .. الى ثلاثمائة عام .. ولا يوجد أحد من سكانها .. لم يولد فى الأعماق .. تحت القبة البلاستيكية المصفحة .. التى تشكل درع المدينة .. ويبدو أن البيئة الغريبة فى قاع البحر .. قد طورت لبعض السكان .. قدرات عقلية خارقة !

ـ ١ ـ

تمددت (لينا) .. وهى ملتفة حول نفسها .. كثعبان داخل الرحم .. فى حجرتها المتسعة بالقاعة الاجتماعية لمدينة الأعماق الجديدة .. رقدت وذراعاها تحوطان صدرها بقوة .. وعيناها

مغلقتان وفمها مفتوح قليلا ..

كانت فى الثامنة عشرة من عمرها .. سمراء .. ذات عينين ذهبيتين .. وشعر كستنائى طويل .. ولم تكن نائمة ..

فى الساعة التاسعة من اليوم .. والثانية من فترة راحتها .. التى تستغرق ثلاث ساعات ..أحست باقتراب أحد الزوار .. تجمعت الأحقاد فى عقلها الفائق .. وبمرارة أوقفت نفسها .. عما كانت تفعله .. ومدت شعاعا من فكرها .. حتى الباب .. وكان العقل الذى قابلته ضعيفا .. ودودا .. لقد عرفته .. إنه (تامر) ..

تلقى عقل (تامر) نبضة الفكر . وقال :

ـ هل يمكن أن أدخل يا (لينا) ؟

أطلقت سهما من تفكيرها ناحيته .. فاحمر وجهه .. وقطع عبارته .. وفتح الباب ..

سوت (لينا) هندامها بكسل .. وزهو .. ونظرت إلى (تامر) بحدة ..

كان نحيفا مثل كل رجال مدينة الأعماق الجديدة .. ولكنه بدا لها قويا .. مفتول العضلات ..

كان أصغر منها بعام .. وموهوبا مثلها .. ولديه طاقات عقلية خارقة .. ولكنه يعانى ضعف إرادته .. وعدم تحديد أهدافه !

فكرت ببرود تجاهه .. تخاطريا :

ـ إنك سوف تدمر طاقاتك الخارقة .. إذا لم تعطها الفرصة لكى تعبر عن نفسها بحرية !

قال بصوت مفعم بالخجل :

ـ إننى آسف .. لقد كانت غلطة .. عندما أحببتك !

نظرت إليه بفتور . وقالت بحدة :

ـ هب أننى أخطأت .. ونسفت عقلك الساذج ؟

رد متهيبا :

ـ (لينا) ! إننى لم أنكر أن لديك طاقات عقلية خارقة .. إشعاعات كهرومغناطيسية فائقة أكبر مما لدى .. بل أكبر مما لدينا نحن الثلاثة معا ..

قاطعته .. ووجهت إليه الأمر :

ـ اهدأ .. الاخرون قادمون .. حاول ألا تبدو مثل أى غبى يهذى بالحماقات .

كشف عقلها الفائق .. عن وصول العضوين الاخرين .. من مجموعتهم الصغيرة ..

وبعد بضع ثوان تلقى عقل (تامر) البطىء الإشارة .. وأضاف ترحيبه الودى ..إلى ترحيب (لينا) الفاتر ..

دخل (زاهر) أولا ثم تبعه (سامر) .. كانا فى أوائل عقدهما الثانى .. وقد نضجت القدرات العقلية الخارقة فيهما ببطء .. وتعرفتها (لينا) منذ عامين فقط .. أما (تامر) فقد ظل تحت سيطرتها لمدة ثلاث سنوات .. وهى نفسها شعرت بالطاقات العقلية الخارقة .. تتأرجح فى راسها .. منذ أربع سنوات فقط ..!

* * *

كانت هناك لحظة اندماج وتوحد .. عندما تلتقى العقول الأربعة .. و (لينا) كعادتها هى المسيطرة دائما .. بقوة إشعاعاتها الكهرومغناطيسية الصادرة من عقلها .. فهى لا تستسلم أبدا .. ولو للحظة واحدة .. وتتخلى عن تفوقها .. الذى أعطاها زعامة المجموعة ..

لم يكن هناك داع للتحية .. فإن الأربعة .. كانوا كشخص واحد .. وبدا أن الحجرة تتقلص عليهم .. حتى تحتضن عقولهم الممتزجة ببعضها .. فى أمان ..

سألت (لينا) :

ـ موافقون ؟

دوى هذا التحدى .. وأحست بجفول (تامر) اللاإرادى .. فسألت مرة أخرى .. بنغمة أكثر حدة :

ـ .. هل أنتم موافقون ؟

جاءتها الإجابة بطيئة :

ـ تأكيد من (زاهر) و (سامر) .. وتأكيد ضعيف من (تامر) ..

ارتسمت على شفتى (لينا) ابتسامة واسعة .. موافقة !

أضاف عقل (تامر) بتردد :

ـ طبعا هناك خطر داهم ..

ردت (لينا) بسرعة :

ـ الخطر .. يعطى نكهة لذيذة للمغامرة كلها !

ـ لو قبض علينا .. فسوف تكون نهايتنا جميعا ..

تحرك عقل (لينا) بسرعة خاطفة إلى داخل عقل (تامر) ..

وأجرى بعض التعديلات فى التوازن الهرمونى للغدد .. ومن ثم توقف سريان تيارات الخوف فى جسده .. ولم يعد يرتعد !

قال (تامر) وعقله ينبض فى همس .. ووهن :

ـ إننى موافق على الانضمام لكم !

قالت (لينا) بفرحة :

ـ إذن موافقة إجماعية ..!

وطوق عقلها عقول الرجال الثلاثة .. الضعاف الواهنين .. الذين يقفون أمامها بلا حراك .. وضاقت حدود الحجرة التى تضمهم .. إلى حجم جمجمة (لينا) ! ثم بدأت تتمدد إلى الخارج .. مرة أخرى .. لتبدأ المغامرة .. المستحيلة !

ـ ٢ ـ

هكذا ارتبطت أربعة عقول ذات قدرات خارقة .. لتصبح عقلا واحدا .. فائقا .. قفز إلى أعلى كيلومترا كاملا .. نحو الفضاء .. تجاه الأرض .. المتجعدة .. السوداء فوقهم ..

لم يكن بإمكان (لينا) أن تفعل ذلك بمفردها .. فقد حاولت من قبل ..

وكثير من مرارتها انبعث من حقيقة أنها فشلت فى ذلك ..

لقد أرسلت عقلها تخاطريا .. لتقصى الأمور .. على طول قاع البحر .. تموج منطلقا خلال الرواسب المرجانية .. والكهوف .. ومواجها الكائنات البحرية الغريبة ..

حتى المدن الأخرى ذات القباب .. التى تحتل مكانها أيضا فى قاع البحر .. كان من المخطور قانونا على أى شخص ذى قدرات خارقة .. أن يتصل بعقول ساكنى قبة أخرى .. لكن (لينا) لم تكن تعبأ كثيرا بهذا .. لقد وصلت (لينا) إلى المدن الأخرى فى قاع البحر .. بسهولة كبيرة .. برغم أن المجهود الذى بذلته للوصول إلى أبعد المدن .. تركها فى حالة من الإعياء واللهاث .. وأخذ العرق يتصبب منها ..

لكن شق الطريق إلى السطح .. لم يرق لها . كانت ترسل فيضا من أفكارها .. خلال طبقة المياه السميكة فوقها .. فى محاولة لاختراق البحر .. ورؤية الأرض ! الأرض المدمرة .. المهجورة .. القاحلة .. بسبب الإشعاعات .. وتلوث البيئة ..

أرادت أن ترى زرقة السماء .. والرعب الذهبى للشمس المجردة ! لكن (لينا) فشلت ..

فعلى مسافة تقل عن ثلاثمائة متر .. من سطح الماء .. انحرفت نبضات الفكر .. واختلطت وارتدت .. وعادت أدراجها ..

وفى خلوتها داخل حجرتها .. حاولت مرات عديدة .. بكل جهدها .. حتى التصقت ملابسها الرقيقة بجسدها .. من العرق الغزير ..وهنا فقط أدركت أنها محتاجة لمساعدة أحد ..!

كان ذلك الإدراك مرا فى حلقها .. فقد كانت تعتمد دائما على نفسها ووببطء بحثت (لينا) عمن تحتاج إليه من الخمسين شخصا ذوى القدرات الخارقة .. فى مدينة الأعماق الجديدة ..

وكانت تعرف (تامر) منذ سنوات .. واستطاعت أن تخضعه

تسيطرتها .. تماما مثلما تخضع لها يدها أو ساقها ..! لكن (تامر) لم يكن كافيا .. لذلك وجدت (زاهر) و (سامر) .. وبمجرد أن توطدت العلاقة بينهم .. أوضحت لهم ما الذى تعتزم القيام به .. واستخدمتهم كمساعدين لها ..

كانت تنوى إطلاق موجة جديدة من الأفكار .. خلال البحر .. إلى سطح الارض .. وباندماج الأربعة .. يمكن تحقيق ذلك .. واكتشاف المجهول !

ـ ٣ ـ

قبع الأربعة ممددين على الأرائك الجلدية الوثيرة .. فى حجرة (لينا) وقد جمعت بينهم بغضب بارد .. بحيث كونوا الوحدة التى أرادتها .. وانصهر الأربعة فى كيان متفرد ..

والان .. تفكر العقول المجدولة مع بعضها بقوة .. فى التحرك تجاه سطح الأرض ..

كانت (لينا) قد شاهدت الصور ثلاثية الأبعاد .. المجسمة .. بهولوجرافيا الليزر .. معروضة على الشاشات المنحنية فى القاعة العامة .. وكانت لديها فكرة عن شكل سطح الأرض .. وكل النقاط السوداء والبنية والزجاج المنصهر .. والهياكل الكئيبة التى كانت من قبل مبانى ..

لكنها أرادت أن ترى ذلك بنفسها .. ذلك الجلد الميت للكوكب .. الذى أحرقه شر الإنسان ! برغم أنها كانت تعلم أن الموت عقاب إبراز العقل .. لما بعد حدود مدينة الأعماق الجديدة !

* * *

بدءوا رحيلهم إلى أعلى .. كانت العقول الأربعة متشبثة ببعضها تخلق قوة الدفع الفكرية .. أغلقت العيون . والتفت الأجسام .. وأصبح التركيز الذهنى شديدا .. من أجل هذه المهمة الصعبة ..

أخذ الضوء يداخل المياه السوداء .. بحيث أعطى لونا أخضر قاتما .. فى أثناء اقترابهم من المنطقة التى تدفئها أشعة الشمس .. لم يحدث لـ (لينا) ذلك .. فى أثناء رحلاتها الأولى البعيدة .. بمفردها .. الان ارتفع عقلها بمجهود قليل .. ودخل المناطق العلوية من البحر .. وبدون إنذار .. وجدت نفسها تشق طريقها خلال حاجز الماء .. وتبرز إلى الهواء الطلق ..

كان ما يزال (تامر) و (زاهر) و (سامر) معها .. وبدا منظر الأرض رائعا .. يخلب الألباب .. أول شىء أدركوه .. الشمس .. كانت أصغر مما توقعوا .. لكنها ما زالت نجما شابا .. ينشر الرعب .. ويومض عاليا فى السماء الزرقاء .. الرخوة .. كانوا متشوقين لرؤية الخراب والدمار فوق الأرض .. ولكن صدمتهم كانت هائلة .. لا يمكن وصفها !

خرج الأربعة كلهم من البحر .. باحثين عن المناطق الموبوءة بالإشعاعات .. وتلوث البيئة .. الأرض الميتة !

لكنهم وجدوا بدلا من ذلك .. خضرة . وبسطا من الحشائش التى لم تطأها قدم .. وأشجار باسقة مورقة .. وممتلئة بالفاكهة .. وكانت الحيوانات ترعى الأعشاب .. بهدوء وسكينة فى الحقول الخضراء المزدهرة .. وعلى مسافة منهم .. ظهرت جبال

منحدرة تلمع فى ضوء الشمس . بارزة وسط الخضرة .. وترتفع ببطء فى الأفق البعيد .. كانت الطيور تغرد .. والرياح تهب بلطف وسط الأشجار المتمايلة ..

بدا كما لو أن يد الإنسان .. لم تمتد قط إلى هذه الأرض ..

تساءلت (لينا) فى دهشة بالغة :

ــ هل يمكن أن تلتئم الجروح والندبات .. بمثل هذه السرعة ؟ إذ لم يمر أكثر من مائة عام .. منذ دمرت القنابل النيوترونية والميكروبية سطح الكوكب ؟!

وقادت فى حيرة .. العقل الرباعى .. من السماء الدافئة إلى الأرض .. جاءوا مترجلين .. وسط الحقول الخضراء .. المعبقة بعبير الربيع الساحر ..

أحست (لينا) بنوع غريب من الخوف اجتاح عقلها ..! كانت بعض الكائنات تقترب منهم .. محلقة فوق العشب .. دون أن تصطدم بهم .. ليست مخلوقات بائسة مشوهة .. التى اعتقد البعض أنها بقيت على قيد الحياة .. فوق الأرض .. ولكن هذه الكائنات .. كانت طويلة القامة .. معتدلة القوام .. ترتدى ملابس بيضاء .. وتبتسم فى ترحيب ودى ..

سرت فى (لينا) موجة من الفرح والسعادة .. سرعان ما انتقلت إلى رفاقها الثلاثة .. لم يكن من الصعب إخراج أجسامهم من الأعماق .. ويمكنهم أن يعيشوا هنا فى هذه الأرض الجميلة .. ويهربوا من سجن مدينة الأعماق الجديدة .. وجوها الصناعى الكئيب !

وسعت (لينا) من مدى تصورها .. وأطلقت المزيد من الأشعة الكهرومغناطيسية .. من العقل الرباعى المتحد .. فوجدت فى كل اتجاه حولها .. الجمال والسكينة .. بدون أى أثر من آثار الدمار .. أو الخراب ..

ربما لم تكن هناك أى حروب .. وأرسل أهل الأرض أجدادنا .. إلى أسفل أعماق البحر .. ثم خدعوهم وتركوهم هناك !

فكرت (لينا) مليًا فى هذا الاحتمال .. وفى أنهم اعتقدوا طوال مائة عام .. أن سطح الأرض ميت .. ومتخم بالإشعاعات القاتلة !

لم تعد (لينا) تشعر بالكراهية والحقد لأول مرة فى حياتها .. كانت الآلام .. والمرارة .. مستحيلة وسط هذا العالم الأرضى الأخضر .. حيث تدفئ الشمس المجردة .. الأرض الخصبة .. ويتألق الجمال فى كل مكان ..

* * *

فجأة .. جذبت قوى مجهولة .. دفقات الأفكار التى كان الحالمون الأربعة متشبثون بها .. لاستمرار اتصالهم بالفردوس الأرضى :

ــ (لينا) ! .. استيقظى ! اخرجى من هذا !

قاومت بكل قوتها .. لكن حتى القوة المشتركة للأربعة .. لم يمكنها أن تقاوم ! ووجدت نفسها تجذب جانبا بقوة هائلة .. ليرجعوا مرة أخرى إلى الأعماق .. إلى الاستيقاظ .. والوعى ..

ازدحمت الحجرة .. بستة أعضاء من قوة التحكم .. يقفون بجوار الباب .. يحدقون باستمتاز فيهم ..

حاولت (لينا) أن تندفع إلى الخارج .. لكنهم كانوا يفوقونها فى العدد .. والقدرة .. إذ كانوا ستة من أقوى أصحاب القدرات الخارقة .. فى مدينة الأعماق الجديدة .. ! والقوة الرهيبة التى سيطروا بها على عقلها .. كان لا يمكن ردها ..

سألت (لينا) مستخدمة صوتها وليس انطلاق أفكارها :

ــ بأى حق تقتحمون علينا هذا المكان ؟

رد عليها أحد أفراد قوة التحكم تخاطريا :

ــ (لينا) ! إننا نراقبك منذ بضع سنوات .. أنت مقبوض عليك .. بتهمة الخروج العقلى .. لما وراء حدود مدينة الأعماق الجديدة !

ــ ٤ ــ

كانت المحاكمة عبارة عن مهزلة ..

جلس القاضى الآلى فوق المنصة .. فى القاعة العامة .. وكانت الإجراءات القضائية بسيطة .. إذ عرض على (لينا) ومساعديها الثلاثة .. الفرصة لإثبات براءتهم .. بفتح عقولهم لـ (عامر) .. وهو أحد الموهوبين المتميزين .. ذوى القدرات الخارقة ..

لكن (لينا) رفضت ذلك بشدة .. نيابة عن الأربعة .. إذ كانت تدرك أن قضيتهم مينوس منها .. فإذا سمحت لـ (عامر) بأن يحملق فى عقولهم .. فسوف تثبت التهمة عليهم .. أما إذا رفضت .. فذلك اعتراف ضمنى بالذنب .. وفى كلتا الحالتين .. سيصدر الحكم ضدهم .. بالموت !

فضلت (لينا) أن تحتفظ بسلامة وقوة عقلها .. ووضعت خطة ..

لكن يمكن لجهاز التسلل إلى العقل .. تدميرها ! وكان عليها أن تجازف ..

قال القاضى الآلى .. بعد فترة .. وعيناه البللوريتان تتألقان :

ــ بعد استعراض الدليل الذى قدمته قوة التحكم .. بعد التسلل إلى عقولكم .. تأكد لنا أنك يا (لينا) .. قد تكرر منك خرق نظامنا الأمنى .. عن طريق الاتصال بمدن الأعماق الأخرى .. ثم أغويت ثلاثة من الموهوبين المتميزين الآخرين للاشتراك معك .. فى محاولة أكثر جسارة وخطورة ..

تريث القاضى لبرهة ثم أضاف .. بصوته الرتيب المعدنى قائلا :

ــ ... ماذا تقولين الآن يا (لينا) ؟

اعترفت هامسة :

ــ ليس لدينا أى دفاع نقوله .

قال القاضى الآلى بحزم مبرمج :

ــ ... لابد أنك تعرفين أن موقفك ضعيف .. ومعرض للهجوم .. لا يمكن أن نعرف قط متى يعود الجنون الذى دمر الأرض .. وسبب تلويث البيئة .. لذلك لابد من أن ندين أى اتصال غير رسمى بين مدن الأعماق .. باقصى جزاءات رادعة ! يجب أن نحتفظ بموقفنا الانعزالى .. وأنت يا (لينا) مع رفاقك الثلاثة خالفتم هذا القانون .. والجزاء هنا حتمى ..

صمت القاضى قليلا ثم أضاف بصوت جامد :

ــ ... إن حدودنا صلبة هنا .. وتعداد سكاننا مثبت بوساطة معدلات منيعة .. فلا يمكن أن نتهاون مع المجرمين فى مدينتنا ..

الهواء والطعام الذى استهلكتموه حتى الآن .. قد خسرناه .. ويمكن لنا إحضار أربعة أفراد آخرين بدلا منكم ..

اعتدل القاضى .. فى حركات بطيئة آلية .. واستطرد قائلا :

ـ .. إننى أحكم عليكم بالموت .. أنتم الأربعة .. وسوف تنقلون مساء اليوم إلى الفتحة الغربية .. لتلقوا منها فى البحر !

نظرت (لينا) بكل الكراهية .. عندما سمعت إعلان الحكم بالموت عليهم ..

وحولها كان أعضاء فرقة التحكم .. يواصلون الاختبارات المستمرة .. لقدراتها الفائقة .. وطاقاتها الخارقة ..خشية أن تطلق دفقات فكرية مدمرة .. من القوى العقلية .. نحو القاضى أوأى شخص آخر .. كانت محاصرة تماما !

لم يكن أمامها سوى الاستسلام .. بينما كانت الخطة تختمر فى رأسها ..

تمّ اقتيادهم إلى الفتحة الغربية .. وهى ذات شكل دائرى فى هيكل أكبر قبة بلاستيكية .. وكانت تستخدم فقط لأغراض الإعدام .. وظهر هناك حاجز هوائى .. فى حجم جسم الإنسان .. يعمل كحاجز بين الأطنان الضاغطة للبحر .. وأمن مدينة الأعماق الجديدة ..

وُضع الأربعة فى داخل الحاجز الهوائى .. كل على حدة .. ثم فتح الحاجز الهوائى .. مرة .. اثنتين .. ثلاثا .. أربعا ..

شعرت (لينا) أولا بالبرودة .. ثم بـ (تامر) و (سامر)

و (زاهر) .. وفى الحال بحث عقلها الفائق .. عن عقولهم ..

قالت لهم بلهفة تخاطريا :

ـ مازال بوسعنا إنقاذ أنفسنا !

ردوا بصوت واحد :

ـ كيف ؟ الضغط هنا ...

قاطعتهم بحدة :

ـ أنصتوا إلىّ ! علينا أن نتحد مرة أخرى .. ونصعد كلنا إلى السطح .. لقد رأيتم شكله الأخاذ .. الرائع .. يمكن أن نعيش هناك .. هيا أسرعوا للانضمام إلىّ ..

قال (زاهر) بتردد :

ـ سطح الأرض ! .. لا يمكننا ..

ردت بدفقة فكرية تعبر عن قمة انفعالها :

ـ ليس لدينا وقت ! .. سوف نعيش هناك ..

اعترض (سامر) قائلا :

ـ الصعود يحتاج إلى طاقة هائلة ! وحركة الفيضان الخلفى فى الماء .. سوف تدمر القبة الكبرى ! وسيتعرض جزء كبير من مدينة الأعماق الجديدة .. للدمار !

ردت (لينا) بسرعة :

ـ وماذا يعنينا فى ذلك ؟ لقد حكموا علينا بالموت .. أليس كذلك ؟ حسن .. إننى أحكم الآن عليهم ! لم يكن هناك أى وقت آخر للجدل ..

واستغرق اتحادهم الفكرى الرباعى .. جزءا من ألف من الثانية .. وبعد لحظات .. بدءوا اندفاعهم .. تحت ضغط البحر .. القاتل !

وكانت (لينا) قد استخدمت كل قدراتها الخارقة .. لضم الثلاثة الآخرين إليها .. وأصبح النقاش مستحيلا .. سحبت عقولهم بلا رحمة إلى عقلها .. ومرة ثانية .. أصبح الأربعة واحدا ..

جمعت (لينا) القوة اللازمة .. للقفزة الأخيرة ! وهى لا تدرى ما إذا كان يمكنها أن تنجح فى ذلك .. أم لا .. لكنها لم تهتم بدراسة إمكانية النجاح من عدمه .. انطلقوا إلى أعلى ..

تم مرورهم فى نفس الوقت .. لأن العقول الأربعة المتصلة .. فى سلسلة آسية .. شقت طريقها خلال البحر الذى يغلى .. تجاه سطح الأرض الأخضر ..الدافئ .. الخصيب !

كان لـ (لينا) لحظة واحدة من الدهشة .. إذ إن السطح بدا لها مخالفا تماما .. لما رآه عقلها .. من قبل .. كانت هناك أنهار متجمدة من الصخور .. تلتف وسط حقول الرماد البركانى الأسود .. وكانت السماء تطن بجسيمات مشعة .. دون ذرية .. ولم يكن هناك أى أثر للحياة !

غاصت (لينا) حتى ركبتيها .. فى الرماد البركانى المتقرح .. الذى ما زال دافئا من النيران .. التى نشبت منذ قرن مضى .. الجسيمات الثقيلة التى نفذت من ثقوب طبقة الأوزون .. كادت أن تحرق جسمها ..

تساءلت فى رعب :

ـ كيف حدث هذا ؟ لقد شاهدت أرضا خضراء ..

وصلتها نبضة فكرية من (تامر) الذى كان يحتضر من الإشعاع إلى يسارها :

ـ لقد خدعتك يا (لينا) كم أحببتك .. ولكنك احتقرتنى .. وعاملتنى كخادم ! وكنت متفوقا عليك فى قدرة واحدة على الأقل .. التفكير الخيالى .. فأمكننى حجب الصور الحقيقية .. ووضعت بدلا منها صورا زائفة .. لم يكن بإمكانك ملاحظة الفرق .. أليس كذلك ؟.. والآن موتا سعيدا يا (لينا) !

تفجرت فى كل كيانها .. كراهية لا حدود لها .. وحاولت أن تصل إليه .. لكى تنتقم منه .. لكن قوتها خذلتها .. وترنحت ساقطة على وجهها فوق التربة المميتة للأرض .. وانتظرت

حتى تطبق عليها .. يد الموت الإشعاعى .. بسبب الحروب الميكروبية .. البيولوجية .. وتلوث البيئة ..

وعلى مسافة كيلومتر إلى أسفل .. أخذ البحر المنتفخ .. والحانق من مرور البشر خلاله .. صاعدين إلى أعلى .. يدمدم بقوة .. مندفعا تجاه الفتحة الغربية .. للقبة البلاستيكية الكبرى .. لمدينة الأعماق الجديدة .. واقتحم طريقه خلالها .. فى رد فعل مساو فى المقدار .. ومضاد فى الاتجاه ..

وبدأ التدمير !

وعلى سطح الأرض .. كانت (لينا) تتلوى .. وهى تعانى آلام الاحتضار .. تحت سماء رمادية كئيبة .. وفى ذهنها المكدود .. الذى مسه الموت .. تراءت لها كالأحلام .. خضرة .. وبسط من الحشائش التى لم تطأها قدم .. والشمس المجردة .. تدفئ الأرض الخصبة ، وجبال ترتفع فى شموخ .. عند الأفق البعيد ..

الطيور تغرد .. والرياح تهب بلطف .. وسط الأشجار المتمايلة ..

لقد كان عالما يسود فيه السلام .. بلا حروب مدمرة .. ولا تلوث ..

وماتت (لينا) وهى سعيدة بهذا الحلم !

* * *

روايات مصرية للجيب

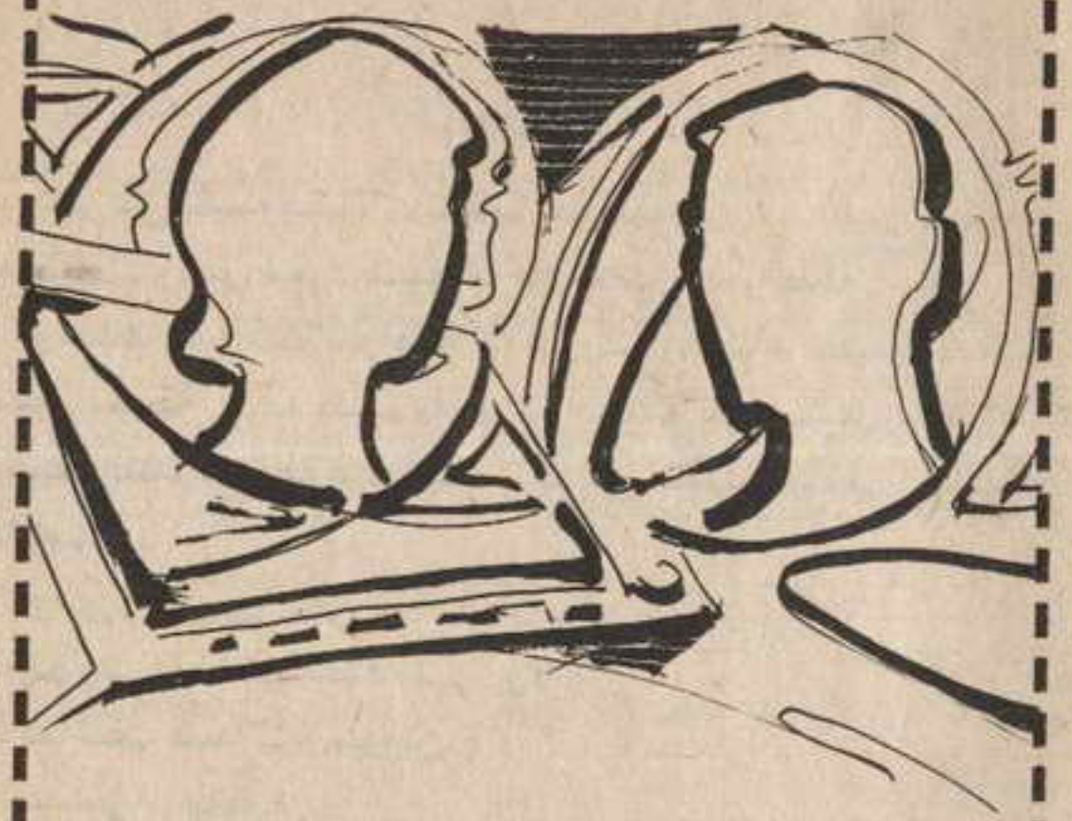

سلسلة نوقا للخيال العلمى

عيون المستقبل

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع سلك - العباسية - القاهرة - ت ٨٨٨٠٩٠

(إعداد)

فكر فى نفسه فجأة .. باعتباره (سورين) .. كيان حيوى مستقل .. وليس مجرد مجموعة من الأفكار .. والطاقة ..

وعادت إليه ذاكرة واهنة .. عن كل الأشياء القديمة .. منذ دهور سحيقة .. قام بتسوية دوامة الطاقة التى تشكل ذاتيته .. بحيث انتشرت خطوط قوتها .. إلى مسافات بعيدة .. وسيلة للاتصال ..

وفكر (سورين) فى أنه لابد أن يخبر (رولا) ..

تجاوب معه نظام الطاقة لـ (رولا) :

ـ ألست قادما يا (سورين) ؟

ـ أجل .. بالطبع ..

ـ هل سوف تشترك فى السباق ؟

نبضت خطوط قوى (سورين) بشكل غريب وقال :

ـ أجل .. بالتأكيد .. لقد فكرت فى شكل فنى جديد تماما .. شىء غير عادى !

ـ يالله من مجهود ضائع ! كيف يمكن أن تفكر فى تغير ما .. بعد كل هذه السنين ؟! لا يمكن أن يكون هناك شىء جديد ..

ثم خرجت (رولا) عن طورها .. وقطعت تحاورها الفكرى للحظات قصيرة .. واضطر (سورين) للإسراع بضبط خطوط قوته ..

أمسك بتيار الأفكار الأخرى .. التى تنتشر فى الفراغ من حوله ..

قال (سورين) :

ـ (رولا) ! أرجوك .. استوعبى أفكارى .. لا تبتعدى عنى .. لقد فكرت فى التعامل مع المادة .. تصورى !! سيمفونية رائعة من الجسيمات دون الذرية !

جاءته فكرة من (رولا) .. تعبر عن الذهول :

ـ المادة ؟!

فسر (سورين) تغيرات الطاقة عند (رولا) على أنها دلالة على الضيق والنفور .. فقال :

ـ ولم لا ؟ لقد كان الإنسان مادة من قبل .. منذ مليون سنة ..!

ردت (رولا) قائلة :

ـ إننى لا أتذكر كيف كنا من قبل ! ولا أظن أن أحدا منا يتذكر ذلك !

قال (سورين) فى نشاط مفاجئ :

ـ سوف أستخدم جهاز تجسيد الأفكار !

ـ لا .. إن هذه حماقة !! شىء يثير الاشمئزاز ..

تريث (سورين) للحظات ثم انطلقت أفكاره :

ـ دعينى أحاول .. لقد كنا وما زلنا أصدقاء .. نبضنا بالطاقة معا منذ البداية .. أرجوك !

ـ إذن أسرع !

لم يشعر (سورين) من قبل بمثل هذا الارتعاد .. على طول خطوط قوته الذاتية .. لفترة زمنية لا يدريها .. فإذا حاول الان ..

ونجحت المحاولة .. فإن بوسعه التعامل مع المادة .. وتشكيلها .. أمام مؤتمر كائنات الطاقة .. الذين انتظروا فى اكتئاب دهورا طويلة .. مشاهدة شىء جديد !

سلط (سورين) أفكاره على جهاز تجسيد الأفكار .. ظهرت على شاشته المجسمة .. مادة رقيقة .. بيضاوية ..

سأل فى هدوء :

ـ (رولا) ! ألا تتذكرين ؟ ألم يكن الإنسان شيئا يشبه هذا ؟

ارتجفت خطوط الطاقة لدى (رولا) .. وقالت :

ـ لا تجبرنى على التذكر !

تمهل (سورين) وهو يقول :

ـ ذلك كان الرأس .. !

تريث هنيهة ثم أردف :

ـ ... انظرى ! هل تتذكرين هذا ؟

ظهر على قمة الجسم البيضاوى .. رأس ووجه .. بلا ملامح ..

قالت (رولا) بلهفة :

ـ أجل أتذكرها ! لقد كان هناك شىء ما .. فى المنتصف .. بروز صغير !

هتف (سورين) بفرحة :

ـ آه .. فعلا .. الأنف .. هذا ما تقصدينه !

ثم ظهر الأنف على الوجه .. أردفت أفكاره :

ـ وهاتان العينان .. على كلا الجانبين ..

ظهرت العين اليسرى .. ثم اليمنى ..

نظر (سورين) إلى الصورة المجسمة فوق الشاشة .. ونبضت خطوط قوية ببطء ..

ترى هل كان حقيقة يحب ذلك ؟

ثم قال فى أنفاس مرتعشة :

ـ ... الفم .. والذقن . والشعر .. والرقبة ..

وظهرت كل هذه الأشياء .. على النموذج المجسم فوق الشاشة ..

قاطعته (رولا) بسرعة :

ـ إننى لم أفكر فيها من قبل ! لماذا ذكرتنى بها ؟ لماذا ؟

شرد (سورين) للحظات فى أفكاره .. محدثا نفسه :

ـ شىء آخر ! أعضاء للسمع .. ووسيلة لإصدار موجات الصوت .. آه .. الأذنان ! لكن ترى أين كان مكانهما ؟ إننى لا أتذكر أين أضعهما !

صرخت (رولا) وقد زاد نبض خطوط قوتها :

ـ أتركهما حالا ! الأذنين وكل شىء ! لا تتذكر أكثر من هذا :

رد (سورين) بقلق :

ـ وما الخطأ فى تذكر هذه الأشياء ؟!

تريثت (رولا) ثم قالت :

ـ لأن الوجه لم يكن جافا وفظا مثل هذا النموذج .. وإنما كان ناعما ودافئا .. وكانت العينان رقيقتين وتنبضان بالحياة .. وتمتلئان بالعواطف النبيلة كالحب .. وشفتا الفم كانتا تختلجان بشتى الأحاسيس ..

وارتعدت خطوط قوى (رولا) ..

قال (سورين) :

ـ إننى آسف ! آسف حقا !

تمهلت (رولا) قليلا ثم قالت :

ـ إنك تذكرنى بأننى كنت ذات مرة .. امرأة .. عرفت الحب وجربته .. وملأنى الحزن الناعم .. والهدوء الغريب .. والدفء الرائع .. قبل أن يتوقف الزمن ! إن العينين تفعلان أكثر من مجرد الرؤية .. إنهما مرآتان للحب والحزن .. للسعادة والألم .. ولا يمكننى أن أفعل ذلك لنفسى الان .. فأنا مجرد كتلة هلامية .. مخ كبير .. ذكاء مجرد !

وأضافت فى توتر شديد : مادة أخرى ؟! ونظرت إلى الرأس المجسم فوق شاشة جهاز تجسيد الأفكار .. ثم استدارت .. وولت مبتعدة ..

تذكر (سورين) أنه كان ذات مرة رجلا .. وقد شعر بكل هذه الأحاسيس البشرية ..

غضب وشق صورة الرأس إلى نصفين .. ثم تلاشى مبتعدا مقتفيا أثر طاقة (رولا) .. وعائدا إلى حياته الطويلة .. التى أصبحت مصيره .. فى هذا المستقبل البعيد ..

وما زالت عينا الرأس المحطم للمادة المرسومة .. بثلاثة أبعاد فوق الشاشة . تتلألآن بقطرات الماء .. التى وضعتها (رولا) .. فيهما .. لتمثل الدموع !

فعلت رأس المادة .. مالا تستطيع أن تفعله كائنات الطاقة .. فقد بكت على الإنسانية كلها .. وعلى العواطف النبيلة .. البشرية .. وعلى الجمال الجسدى سريع الزوال .. الأجسام التى عاشت فوق هذه الأرض منذ مليون سنة مضت !

* * *

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

مباريات الموت

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ ش الصحافة والفجالة ـ القاهرة ـ ت ٩٠٥٥٠٩

كنت أعرف أن هذه ربما تكون المرة الأخيرة .. التى أراها فيها .. ولهذا راقبت المبانى الضخمة التى لا تنتهى .. وهى تندفع إلى ما وراء سيارة الشرطة الالية ..

كانت عبارة عن مبان زجاجية .. ذات ألوان الطيف الساطعة .. أخذت تنساب الواحدة خلف الأخرى فى صفوف هائلة .. وكان الناس يسيرون فى طرق الليل .. ليدلفوا بمرح إلى داخل الملاهى .. مثل أى ليلة فى حياتهم .. غير مدركين للحقيقة المرة ..

إنهم يمكن أن يختطفوا .. إلى مباريات الموت .. دون أن تتاح لهم لحظة واحدة .. ليودعوا أحبابهم .. وأهلهم !

ـ ١ ـ

أنا (ل م ١٢١١) .. مواطن محب للسلام .. فى عالم القرن الثانى والعشرين .. قبض على .. لجريمة غير محددة .. وتقرر دخولى فى مباريات الموت ! بتاريخ ١٤ فبراير عام ٢١٤٣ .. ومع ذلك فإن شيئا ما .. لم يتغير فى العالم من حولى ..

* * *

وصلنا فى النهاية إلى مقر مباريات الموت .. وهو مبنى أبيض شاهق .. يختفى فعلا من أعلاه .. فى سماء الليل .. يخترق ظلمة الفضاء ..

دفعنى مسئول الأمن الالى .. الذى كان قد قدم لى أوراقا رسمية .. إلى خارج السيارة الصاروخية .. لنصعد فوق السلم المطاطى ..

فى المبنى الكبير .. كان السير داخل مبنى المحكمة .. عبارة عن سلسلة سريعة من الانطباعات السوداء . التى سرعان ما اختفت فى الحال .. عندما دفعنى رجل الأمن .. الى داخل حجرة استجواب صغيرة .. حيث الموت الخفى .. معلق فوق جدرانها البيضاء الملساء ..

حدق فىّ القاضى ذو الوجه المتجهم كما لو كان مصنوعا من الصلب .. وأعلن حارسى الروبوت :

ـ (ل م ١٢١١) .. للحكم يا سيدى ..

نظر إلىّ القاضى لبرهة .. ثم قال :

ـ لقد أحضرت أمام المحكمة العليا .. بتهمة كراهية الروبوتات والكمبيوترات .. فبماذا تدافع عن نفسك ؟

توترت كل عضلة فى جسمى .. فى عدم تصديق وقلت :

ـ إننى لم أفعل شيئا .. هذه مهزلة .. لقد أحضرتم رجلا برينا .. عن طريق الخطأ ..

سألنى القاضى .. وهو ينظر إلى شاشة الكمبيوتر البيضاوى الذى أمامه :

ـ ألست (ل م ١٢١١) .. الذى له حبيبة اسمها (ج ا ٣٠١٧) .. وتعمل فى وزارة الاتصالات الليزرية .. ورقم وظيفتك (٥ ـ ب) ؟ وأنك معتاد على جمع الكتب القديمة .. وقصص المغامرات .. ومن عاداتك قضاء ساعات طويلة فى المكتبات . وفى شقتك ذات الحجرة الواحدة .. تقرأ ؟!

تريث القاضى لعدة ثوان ثم أضاف :

ـ ... إنك (ل م ١٢١١) .. الذى كتبت مقالا فى جريدة (الشفق) .. هاجمت فيه فكرة مباريات الموت .. كوسيلة منطقية للتحكم فى أعداد البشر الذين يتزايدون بمعدل مروع فى كل أنحاء العالم .. ولتخليص عالمنا المتحضر .. عالم القرن الثانى والعشرين من المجرمين .. وإعطاء مواطنينا نوعا من الإثارة والمتعة العنيفة التى يرغبون فيها فعلا ! .. لقد كان مقالك ذا معان مزدوجة .. خادعة .. وتضمن نقدا للروبوتات والكمبيوترات .. لأنها تتحكم فى مباريات الموت !

حاولت أن أعترض قائلا ::

ـ أجل .. ولكن ...

قاطعنى القاضى بحزم نهائى :

ـ معنى ذلك أنه لا يوجد أى خطأ .. لقد كنت حبيبا لـ (ج ا ٣٠١٧) طوال الأشهر الستة الأخيرة .. تعمل معها فى نشر آراء هدامة .. حول الاستغناء عن الروبوتات والكمبيوترات !! إنك مذنب بتهمة الخيانة العظمى من الدرجة الأولى .. لقد اعترفت (ج ا ٣٠١٧) ..

صرخت قائلا :

ـ هذا كذب !

قال القاضى بتؤدة :

ـ الهدوء ! سوف تعرض أمام اللجنة القومية لمباريات الموت .. فى ١٤ فبراير عام ٢١٤٣ .. كرجل مسلح لتقاتل حتى الموت ! فإذا حدث وأصبحت الناجى الوحيد .. فسيطلق سراحك .. ولن يصدر

عليك بعد ذلك أى حكم بخوض مباريات الموت .. هذا هو الحكم العادل للقضاء الآلى !

تبعت حارسى الروبوت مشدوها .. إلى خارج حجرة الاستجواب .. عبرنا سلسلة من الممرات المعدنية .. ثم توقفنا أمام بوابات حديدية ضخمة .. وضع حارسى بطاقة إثبات هوية فى فتحة بها .. ففتحت البوابات بدون صوت .. وقادنى الروبوت إلى باب ضيق عليه رقم (٧١١٣٤) .. ثم أمرنى بالدخول فى الزنزانة المظلمة .. بتلويحة من يده .. وأغلق الباب الفولاذى ورائى .. مثل انطباق فك مصيدة هائلة !

ـ ٢ ـ

صدر صوت قريب .. قطع على معاناتى .. وعذابى .. كانت نبراته مزيجا من الدهشة .. والرعب :

ـ أنت !!

سرت فى عروقى كل العواطف الممكنة .. تعصر حواسى كأصابع خفية .. تقضى على عقلى ..

التفت حولى بسرعة .. ورأيت الفتاة الفاتنة .. الفارعة الطول .. التى كانت حبيبتى طوال هذه الأشهر الأخيرة .. لكننى لم أستطع مساواة هذه المخلوقة الجميلة .. بالفتاة التى شاركتها فى سيرها الصامت خلال الحدائق المعلقة .. أو التى كانت رفيقتى فى الليالى التى قضيناها فى المحطة الفضائية (ابن الهيثم) .. أو التى رقصت معى برشاقة فى النوادى الليلية خافتة الإضاءة .. تثرثر بسعادة .. فى أثناء تناول طعام العشاء ..

لا .. لا يمكن أن تكون هذه .. هى نفس الفتاة (ج ا ٣٠١٧) !
أنشب الجنون أظفاره فى عقلى .. هناك كانت تقف الفتاة التى أحضرتنى إلى هنا !
وبرغم انفعال الغضب العنيف الذى اجتاحنى .. نظرت إلى وجهها الفاتن الناصع البياض .. وعينيها الفيروزيتين .. وشعرها الأسود الطويل ..
لم تكن تبدو حقيقية .. وهى تقف بعيدا .. فى البرودة الشاحبة للزنزانة .. تمد يديها .. تدعونى إليها !
تبدد عقلى كالشعاع الخاطف ..! ثم صحت وأنا أقفز ناحيتها :
ـ أيتها الكاذبة !
وأطبقت يداى على رقبتها البيضاء الناعمة .. وبدأت أصابعى تضغط الهواء فى رئتيها .. وتحبسه داخلها !
لعل نظرة الرعب المروّع فى عينيها الزرقاوين الكبيرتين .. هى التى أعادت الرشد إلى عقلى المختل .. فانخفضت يداى .. وأنا أتراجع إلى الخلف قائلا :
ـ هذه أكاذيب .. إننى لم أهاجم يوما الروبوتات.. والكمبيوترات !
أحاطت حلقها بيديها .. وشهقت طلبا للهواء .. وأخيرا قالت :
ـ صدقنى ! إننى لم أقل لهم أى شىء !
تمالكت نفسى .. بعد أن بدد الارتباك كل أحقادى :
ـ إذن .. لماذا ؟
ردت دون تفكير .. وهى تلتقط أنفاسها :
ـ لماذا يرسل الإنسان إلى مباريات الموت ؟ لمجرد اعتراضه

على أى مظهر من مظاهر الحياة فى القرن الثانى والعشرين ؟
يبدو أنه ليس هناك عادة أى سبب منطقى !
تريثت لبرهة ثم أضافت :
ـ صدقنى .. إننى سوف أفعل أى شىء .. لإخراجك من هنا !
وتوسلت إلىّ عيناها لكى أغفر لها .. ترقرقتا بالدموع .. وتوهج وجهها الفاتن .. وأسدلت أجفانها .. واللهفة تعقد لسانها .. وتجعل شفتيها ترتعدان ..
كيف يمكن أن أكرهها ؟ لقد خلقت من أجل الحب .. وأنا أعرف أنها تبادلنى نفس هذه العواطف النبيلة ..
نظرت إليها .. وشعرت بسيل من المشاعر الجياشة .. تسرى فى جسدى ! ووجدت نفسى أحيط وسطها بذراعى .. وأرفع ذقنها الدقيقة بلطف .. حتى تقابلت عيوننا .. وشاهدت بسمة فى عينيها الفيروزيتين ..
وبينما كنت أنظر إليها .. انسلت الحقيقة بعيدًا .. وعشنا للحظات .. فى ذكريات الحب !
تمتمت حالمة :
ـ لقد خشيت ألاّ تفهم .. أو تغفر !
جلست على مقعد خشبى داخل الزنزانة .. وسألتها :
ـ كيف قبضوا عليك ؟ ولماذا ؟
هزت رأسها وقالت :
ـ أحضرونى لقاضى مباريات الموت ! وأعلنوا أننى مذنبة .. لأننى لم أدفعك للاقتناع بأهمية الروبوتات والكمبيوترات .. فى

عالم القرن الثانى والعشرين .. وحكموا علىَ بالنزول إلى ساحة القتال .. والاشتراك فى مباريات الموت .. ثم أرسلونى إلى هنا .. إن هذه هى الحقيقة كلها !

صمتت للحظات ثم أردفت :

ــ ... إننا نعيش عصرًا غريبًا ! وفى عهد أجدادنا كان الأمر مختلفًا تمامًا !

اكتفيت بهز رأسى .. لعلمى بأنها تحدثت بالحق ..

إن جدى نفسه أخبرنى أنه فى شبابه .. كانت هناك مسلسلات عنف فى التليفزيون .. قتل .. وجاسوسيّة .. جثث ودماء ..

لكنها كانت مجرد قصص كتبها مؤلفون يعانون عقدًا نفسيّة .. وكان يؤديها ممثلون محترفون ! كان العنف .. هو حجر الزاوية ..

وأصبحت المباريات الرياضية .. أكثر شعبية من المسرح .. بسبب العنف .. والانفعالات التى تصاحبها ..! وزادت الحوادث والجرائم .. ثم كانت الخطوة المنطقية .. بأخذ عتاة المجرمين المحكوم عليهم بالإعدام ..وجعلهم يتقاتلون حتى الموت .. وتصورهم كاميرات التليفزيون المجسم .. لكى يشاهدهم الجمهور فى كل مكان ! وكان إطلاق سراح الفائز .. يجعل القتال أكثر إثارة ومتعة ..

ومع شيوع السلام العالمى .. فإن العالم المزدحم بالسكان .. علاوة على شيوع البطالة والكساد الاقتصادى .. فإن تطور مباريات الموت أصبح شيئًا له أهميته .. وتحولت فى القرن الثانى والعشرين إلى مؤسسة عالمية .. تغذى الجمهور النهم .. المتعطش للدماء بالعنف .. الذى يتشوق إليه !

ــ ٣ ــ

ربما مرت ساعتان أو نحو ذلك .. قبل أن يخطو حارسان روبوتان .. يرتديان الزىّ الموحد الأصفر .. إلى داخل الزنزانة .. وأمرانى بالخروج معهما ..

قادانى إلى حجرة صغيرة بيضاوية الشكل .. فيها صفوف كثيرة من المقاعد .. تواجه جدارًا مسدودًا !

جلست والحارسان إلى جوارى .. ثم فتح الباب .. ودخل أحد رجال الأمن الآليين .. وقف أمامى وهو متجهم الوجه وقال :

ــ أنت (ل م ١٢١١) ! أمامك طريقة واحدة .. لتخفيف الحكم الصادر ضدك .. إن وضعك فى زنزانة واحدة مع (ج ا ٣٠١٧) .. كان مضيعة للوقت .. لذلك سوف نريك جزءًا من تسجيل المقابلة التى أجريت معها ..

جلس ثم أظلمت الحجرة .. ودبت الحياة المتلألئة فوق الجدار .. الذى سرعان ما اختفى .. لتظهر وراءه .. حجرة أخرى حقيقية .. إنها إحدى تلك الشاشات الضخمة المجسمة .. كان رجل الأمن الآلى .. يقف أمام (ج ا ٣٠١٧) .. وهو يقول لها بحدة :

ــ ما علاقتك بحركة التمرد السرية .. ضد الروبوتات .. والكمبيوترات ؟

قالت ببرود :

ــ لا أستطيع أن أخبرك !

رد عليها رجل الأمن الآلى .. بقسوة :

ــ يبدو أنك لا تدركين دقة موقفك !

نظرت إليه فى تحد وقالت :

ــ أدرك ذلك جيدًا .. إننا لا نعطى أية معلومات عن نشاطنا !

أشار رجل الأمن الآلى .. إلى أحد رفاقه .. الذى يحمل صندوقًا فولاذيًا صغيرًا .. أسود اللون .. وتتدلى منه عدة أسلاك رفيعة .. وقال :

ــ هذا .. سوف يعطينا المعلومات التى نريدها ..

برقت عينا (ج ا ٣٠١٧) ناحية الصندوق .. وأدركت أنه جهاز الكشف عن الأفكار .. والذكريات .. فاهتزت إلى الخلف .. وهبط كتفاها .. وهى تعلن فى صوت خال من العاطفة :

ــ لقد ورطنى (ل م ١٢١١) فى هذا الأمر .. ولا أعرف شيئًا آخر!

انطفأت الشاشة .. وأضيئت الحجرة البيضاوية .. ووقف رجل الأمن الآلى أمامى وهو يقول :

ــ إن بقية المعلومات منظمة فى الذاكرة الإلكترونية للكمبيوتر الرئيسى .. لقد استخدمنا جهاز الكشف عن الأفكار والذكريات .. للتأكد من صحتها .. إذن ليس لديك أى مبرر للإنكار باتضمامك إلى حركة التمرد السرية ضد الروبوتات والكمبيوترات !

تصبب العرق من جسمى .. فمهما قلت فإنهم لن يصدقونى قط ..

ثم قال رجل الأمن الآلى :

ــ ... أخبرنا من هم شركاؤك ؟

هززت رأسى وأجبت :

ــ إننى لا أعرف عمَ تتحدث .. إنها تكذب عليك !

أومأ رجل الأمن الآلى برأسه .. وتقدم أحد مساعديه إلى الأمام .. ومعه جهاز الكشف عن الأفكار والذكريات ..

نظرت إلى الجهاز الغريب .. الذى يتغلغل إلى كل خلايا المخ البشرى .. ثم هززت كتفى .. وقبعت ساكنًا ..

ألصق أحد الحراس شريطًا صغيرًا أزرق اللون .. على جبهتى .. وضغط على أحد أزرار الجهاز .. وسرعان ما أظلمت الدنيا أمام عينى ..

وبعد فترة أحسست بالحجرة تضاء مرة أخرى .. طرفت عينى من الضوء .. ونظرت إلى رجل الأمن الآلى .. شعرت كما لو أن ثقلاً هائلاً .. قد انزاح من فوق صدرى ..

قطّب رجل الأمن الآلى مابين حاجبيه .. ونظر باشمئزاز وحيرة وقال :

ــ يبدو أن (ج ا ٣٠١٧) كذبت .. أو أن أحدكما قد أجريت له عملية غسيل مخ !

أحسست بألم مفاجئ فى معدتى ، وقلت له :

ــ كيف يمكننى أن أدفع تكاليف عملية غسيل مخ ؟!

ثم نهضت وعضلاتى كلها متوترة من الانفعال ..

قال رجل الأمن الآلى ببرود :

ــ هناك طرق كثيرة .. إذا كنت عضوًا فى المنظمة السرية التى تحارب الروبوتات والكمبيوترات .. فسوف تكون لديك وسائل عديدة .. ثم ضحك وأردف :

ـ ... لكن ليس لذلك أى أهمية .. لقد حكم عليك .. وحتى لو كان هذا الحكم خاطئا .. فإنه سوف ينفذ !

ولأن الضغط يولد الانفجار كما يقولون .. لذا فبينما هو يستدير .. قفزت تجاهه بحركة مفاجئة .. وقبضت على رقبته المطاطية العريضة .. أحسست بقوة هائلة تدب فى كيانى .. وأصبحت أصابعى كالصلب .. وأخذت أحدق فى وجهه الأملس .. كادت عيناه الصناعيتان تخرجان من محجريهما .. بينما لسانه كان يرتعش .. وصار جسمه كله يتلوى .. فى حركات رتيبة ..

وعندئذ أحسست بالروبوتات الأخرى .. تمسك بذراعى وجسمى .. وشىء ما اصطدم بمؤخرة رأسى .. ولكننى لم أفلت رقبة رجل الأمن الآلى .. من يدىَ .. حتى اصطدم ذلك الشىء اللعين برأسى .. عدة مرات !

ـ ٤ ـ

استيقظت فى ظلام الزنزانة .. بعد ذلك بعدة ساعات .. غير قادر على رؤية أى شىء .. كان مكانا ضيقا جدًا .. لا يكفى لفرد جسمى البالغ مترين ..

مضى الوقت ببطء .. ثم حضر الحراس لأخذى إلى حجرة ضخمة .. يحتشد فيها عشرات الأشخاص .. وحبست وراء أبواب فولاذية .. ذات مزاليج كبيرة ..

وقفت هناك لعدة دقائق .. قبل أن تلمس كتفى يد حانية .. واستدرت لأرى أمامى (ج ا ٣٠١٧) .. كان وجهها مشدودا .. شديد الشحوب .. وشفتاها رفيعتين .. وكل جسمها يرتجف .. غمغمت :

ـ إننى اضطررت للكذب .. فقد كانت الزنزانة مراقبة فى الخفاء ..

حاولت أن أشعر بالكراهية تجاهها .. ولكن لم أستطع .. لم أحس بأى عاطفة .. لا حبٌ .. ولا كراهية ! قلت لها بلا مبالاة :

ـ لا يوجد ما يمكن أن نفعله الآن !

ردت فى إصرار :

ـ إننى لا بد أن أجعلك تفهم السبب .. فى تعريضك للموت ..

ترددت لبرهة .. ثم جذبتنى جانبًا .. بعيدًا عن قبضة الحراس .. وهمست :

ـ ... لقد قبضوا علىَ وأنا أحاول الاتصال بأحد المسئولين .. واضطررت للكذب .. لإنقاذه .. إنه رجل مهم جدًا ..

تساءلت فى دهشة :

ـ ما اسم هذا الرجل ؟

أومأت برأسها فى أسى وقالت :

ـ لا أستطيع أن أخبرك .. فربما تستخدم هذا الاسم لإنقاذ نفسك !

بدأت أحاول مناقشتها فى هذه النقطة .. ثم هززت كتفى .. مهما حدث فسوف يرسلون بى إلى حلبة الموت .. لألقى مصرعى ..

فرص البقاء على قيد الحياة .. تضاءلت إلى ما يقرب من الصفر .. ومع ذلك .. بقى هناك أمل .. طالما أننى ما زلت أتنفس !

وجدت نفسى أستعرض فى ذاكرتى .. كل مباريات الموت التى شاهدتها على شاشة التليفزيون المجسم .. فى المناسبات المختلفة ..

كانت صراعات دموية بين مواطنين عاديين مزودين بالهراوات والسيوف الرفيعة والعريضة .. والحراب .. لم يكن يُسمح بأى أسلحة حديثة .. خشية استخدامها ضد الحراس الآليين .. أو المصورين الجاثمين وراء الكاميرات التليفزيونية .. فوق حلبة القتال مباشرة !التى يحيط بها جيش من شرطة مباريات الموت ومعهم أسلحة ليزرية لإصابة كل من فى الحلبة .. فى عدة ثوان !

وشاهدت فى مباريات كثيرة من هذه .. العديد من الناس .. وقد تجمدت أجسادهم من الخوف .. ولا يفعلون شيئًا .. سوى ترك الآخرين يقتلونهم ! وآخرين كانوا أكثر واقعية .. إذ هربوا بعيدًا عن أتون المعركة .. حتى ينتهى الأمر ببقاء قليل من المقاتلين !

تمنيت أن أفعل مثل هذا .. وبعد ذلك إذا قُدرت لى الحياة .. فسوف أشترك فى الحركة السرية ضد الروبوتات والكمبيوترات .. وكل الآلات ذات الذكاء الصناعى ! لأنها كلها تشرف وتنظم مباريات الموت .. ولم يكن هناك جدوى من إبلاغ (ج ا ٣٠١٧) بذلك .. لأنها لن تصدقنى ..

وقفنا نحن الاثنان .. وكل منا يمسك بيد الآخر .. وكأننا نتشبث بالحياة ! وأخيرا ..أمرنا الحراس الآليون بناء على تعليمات الكمبيوتر الرئيسى .. بالخروج .. والسير فى أحد الممرات .. فى صف واحد .. حتى وصلنا إلى قاعة أخرى متسعة .. لها أرضية من البلاستيك الأحمر .. ومحاطة بشرطة مباريات الموت .. المدججين بالسلاح الليزرى ..

وهنا قدموا لنا أسلحة بدائية للقتال بها .. أعطونى سيفا قصيرا .. مستقيم النصل .. مصنوعا من الفولاذ القوى .. كالذى استخدمه المماليك .. والفرسان فى العصور الوسطى ..

تركز تفكيرى فى كيفية البقاء على قيد الحياة .. بينما كنا سائرين كالقطيع .. الذى يضم عددًا ضخمًا من الحيوانات العجماء ! ثم دخلنا إلى .. حلبة القتال ..

وفى هذه الوقت حدث شىء غير متوقع لى .. شىء أشبه بتوقف كل الحواس والأحاسيس .. كان تحولا ذهنيًا حادًا .. تخلصًا تامًا من الخوف .. وتبلدًا فى المشاعر .. كما لو أن ستارًا قد أسدل فوق كل العواطف .. وأصبحت فجأة .. كثعبان الكوبرا السام .. أفعى قاتلة .. لا رغبة لى سوى أن أقضى على كل من أجده أمامى !

* * *

لوحت بالسيف فى الهواء بتلقائية .. وارتخت ذراعاى القويتان .. وأنا أقف هناك وسط الحلبة .. محاطا بالكثيرين الذين يحملون الهراوات .. والسيوف .. والحراب .. ننتظر إشارة الكمبيوتر الرئيسى .. لبدء القتال .. حتى الموت !

* * *

ـ ٥ ـ

صدرت هذه الإشارة فى شكل سلسلة متتالية من أصوات الأبواق التى تصدرها الذاكرة الإلكترونية للكمبيوتر الرئيسى .. اندفع سيفى ليخترق صدر رجل يقف بجوارى ولم أنتظر حتى يقوم الآخرون بحماية أنفسهم .. تحرك السيف القصير فى كل اتجاه .. محدثًا فيضانا من الموت الخاطف ..

ثم وجدت نفسى فى مواجهة رجل طويل القامة .. يحمل سيفا عريضا ضخما ، دفع السيف نحو رأسى مباشرة .. وبعنف .. وقسوة .. لكننى ملت إلى الجانب الأيسر .. وبحركة خاطفة طعنت صدره بطرف سلاحى الحاد .. فأحدث قطعا سطحيًا خفيفا فى لحمه .. تدفق منه شريط رفيع من الدم .. ثار غضبه ودفع بسيفه مرة أخرى .. فى ضربة رشيقة .. ولكن بكل قوته تجاه معدتى ..

وبسرعة ومهارة غير عاديتين .. قفزت بجواره .. وبضربة واحدة .. قضيت عليه .. وأنا أرقص من الفرح المأساوى .. ! ثم استدرت .. والتقطت السيف العريض .. الذى سقط من يد الرجل الطويل القامة .. خصمى منذ لحظات .. ولوحت به فى دائرة قصيرة .. خلال صدر رجل .. وعنق امرأة ..

كومت أمامى طريقا من جثث الموتى .. وعندئذ لمحت (ج ا ٣٠١٧) .. وهى ممسكة بسيف قصير أيضا .. وأمامها هى الأخرى .. عدد من القتلى ..

لم يكن هناك وقت للتعجب من مهارتها الخارقة فى القتال .. فقد كان من الطبيعى أن تلقى حتفها فى اللحظات الأولى ..

إنه شىء مذهل أن يتعرض عشرات الأشخاص للموت .. فى دوامة من العداء والبغضاء .. دون سبب .. وتصور كاميرات التليفزيون هذه الأحداث الدموية .. لملايين المشاهدين .. متعة القرن الثانى والعشرين !

ثم تمضى عدة دقائق .. ويصبح عدد المقاتلين .. أقل من عشرة أشخاص .. ووجدت نفسى بدون خصم !

جلت ببصرى فى كل أنحاء حلبة الموت .. ولمحت (ج ا ٣٠١٧) .. ما زالت موجودة وهى تقضى على امرأة أخرى .. قصيرة القامة .. بتلويحة واحدة من سيفها ..

كان منظرها المهيب رائعا .. وهى تقف هناك كإحدى المحاربات فى معارك الأساطير .. وسيفها القصير .. منثن فى يدها .. وشعرها الطويل ينساب من حولها .. وهى تستدير لكى تقتل شخصا آخر ..

لكن الآن . لم يعد هناك غيرى أنا شخصيًا ! يالسخرية القدر وغرابته .. التى أوصلتنا نحن الاثنين .. إلى هذه النهاية ..

اندفعت تجاهى بهدوء .. وكاميرات التليفزيون تصور اللحظات الحاسمة .. فى مباريات الموت !

كانت (ج ا ٣٠١٧) كقاتلة بدائية .. فقدت عقلها .. أى ما يطلق عليه (جنون المعركة) .. اندفع سلاحها البتار .. نحو ذراعى اليمنى .. ولكنه لم يقطع سوى طبقة الجلد الخارجية .. كان ذلك كافيا لقيامى بدور إيجابى .. أمام هذا الخطر الحقيقى ..

وخشيت أن سيفها الخفيف .. المصنوع للحركة السريعة .. قد يثبت تفوقه على سلاحى الثقيل .. حركتنى غريزتى لدفع سيفى العريض تجاه رأسها .. إن الأمر سوف ينتهى سريعا .. على الأقل ستموت بدون أن تتألم كثيرا .. هذا ماكنت أحدث به نفسى .. لكن سيفها اشتبك مع سيفى بقوة .. ثم طار حد سلاحها بحركة خاطفة .. بارعة .. وانقض على صدرى ..

لكننى أفلت منه .. بخطوة إلى الوراء .. ثم تقابلت أعيننا فى هذه اللحظات ..

لم أجد فى وجهها أى تعبير .. سوى الحقد والكراهية ..! فى الدقائق التالية .. تبادلنا التراشق بالسيوف .. بشكل ربما يكون قد أعطى لمشاهدى مباريات الموت .. على شاشات التليفزيون المجسمة .. أقصى قدر من الإثارة .. لم يروه من قبل .. لم نكن اثنين من الهواة .. نتقاتل حتى الموت .. بل كنا مقاتلين محترفين بارعين .. وكان يستحيل على أى خبير .. معرفة أين تعلّم كلّ منا .. فنون القتال هذه !

كيف يمكننى أن أعرف الحقيقة ؟ وهناك أشياء غامضة فى ذاكرتى .. لا أستطيع إدراكها ! تحركت بأقصى سرعة ممكنة لعضلاتى .. محاولا سرعة إنهاء هذه المبارزة الفاصلة ..

بدا كما لو كان القدر العجيب .. قد جعلنا فى موقف متكافئ .. كل منا بدا ماهرًا تمامًا .. فى استخدام السيف .. وكلانا كان يبحث عن طريقة لقتل .. حبيب سابق !

وفجأة قفزت (ج ا ٣٠١٧) إلى الأمام .. وحد سيفها يشق

طريقه كالبرق الخاطف .. إلى منتصف صدرى .. تنحيت جانبا مستخدما كل عضلة ممكنة فى جسدى .. وفى نفس الوقت تحرك سيفى فى قوس دائرى .. متجها إلى رأسها ! فقدت توازنها .. ولم تستطع أن تخطو إلى الأمام .. وهكذا تمكنت منها !

العجيب أننى لم أحس إلا بالارتياح ..! لقد انتهى هذا الكابوس الدموى .. وبقيت حيًا!!

وعندئذ لاحظت شيئا مخيفا .. لم أصدقه فى أول الأمر .. فعندما تقطع جسد (ج ا ٣٠١٧) .. ظهرت كتلة غريبة من الأسلاك .. والدوائر الإلكترونية .. واللحم المطاطى .. والرقائق البيولوجية ..!!

وبدون أن أحاول التفكير فى معنى هذا .. ألقيت بسيفى على أرضية حلبة القتال .. وانكفأت فوق جسدها الصناعى .. منهارا .. ثم تساءلت فى هلع :

ـ ما معنى هذا ؟!

بينما كانت كاميرات التليفزيون تسجل هذا الحدث .. المثير ..!

ـ ٦ ـ

نهضت بتثاقل .. ثم سرت إلى باب الحرية .. والكاميرات تتبع كل حركاتى عن قرب .. وبمجرد أن خطوت خارجا من حلبة الموت .. أحاط بى المحررون الصحفيون الدوليون المتحمسون لإلقاء أسئلتهم .. على الفائز فى مباريات الموت ..!

اقترب منى رجل أسمر قصير القامة .. وقال لى :

ـ تعال .. اتبعنى !

كان أسلوبه يشبه أسلوب أحد ضباط مباريات الموت .. ولذلك تبعته تلقائيًا .. دون تفكير ..

ساعدنا تصريح كان يحمله .. فى السير فى الممرات التى بها حراسة آلية .. حتى خرجنا إلى طرقات المدينة .. أشار إلى سيارة صاروخية .. واقفة أمام مبنى حلبة الموت .. فدخلنا فيها .. ثم تحركنا بعيدا عن الكابوس الدموى .. وزادت سرعتنا .. سألت فى جزع :

ــ إلى أين نحن ذاهبان ؟

أجابنى بتؤدة :

ــ إننى من طرف (ج ا ٣٠١٧) .. وسوف أشرح كل شىء .. قريبا جدًا ..

قلت متهيبا :

ــ لكن (ج ا ٣٠١٧) .. كانت ...

قاطعنى مبتسما :

ــ روبوتة !

ثم ضحك بشكل غريب .. حزين .. وأردف :

ــ ... كل الأمور سوف تتضح لك !

ظللنا صامتين .. ونحن نسير فى طرقات المدينة .. لمدة نصف ساعة .. ثم توقفنا أمام مبنى صغير .. فى إحدى الضواحى ورافقنى الرجل الأسمر إلى الداخل .. حيث وجدت نفسى فى حجرة واسعة .. مزدحمة بالناس ..

وقف الجميع واستداروا .. لينظروا إلىّ ..!! ولكن ما رأيته ألقى الرعب فى قلبى .. بأكثر مما حدث فى الأيام الأخيرة كلها !

فقد كانت تقف أمامى .. (ج ا ٣٠١٧) .. حية ترزق ..!!

بدأت أخطو إلى الأمام .. ثم وقفت مكانى مذهولا .. استدار رجل بجوارها .. وبدأ يتحدث إلىّ :

ــ كما ترى يا (ل م ١٢١١) .. إننا صنعنا فى سرية تامة .. روبوتات .. وأعطيناها ذاكرات حقيقية إلى حدّ ما .. باستخدام الرقائق البيولوجية .. التى تستخدم البروتينات بدلا من مادة السيليكون لزيادة كفاءتها .. ثم أضفنا إليها خبرات زائفة .. وهمية .. لإخفاء المعلومات لكى نضلل رجال الأمن الآليين .. والكمبيوترات التى تسيطر على كل أنشطة الحياة اليومية .. وكنا نريد أن نعرف مدى كفاءة روبوتاتنا !

تريث برهة ثم استطرد مؤكدا !

ــ ... وبالطبع لا يوجد أى شخص بخلاف الموجودين فى هذه الحجرة الآن .. يعرف أى شىء عن اكتشافنا هذا .. ولن يتصور أحد ما حدث .. حتى لو كانت أمامه الأدلة الدامغة عليه ..

صمت للحظة وأضاف قائلا :

ــ ... وهكذا يمكنك أن تدرك القيمة العظيمة لجهودنا من أجل الإطاحة بالروبوتات والكمبيوترات التى أصبحت تسيطر على حياة البشر .. وإنهاء مأساة مباريات الموت .. التى اخترعها الروبوتات والكمبيوترات .. للتخلص من البشر ..

إن عملاءنا الروبوتات هم بمثابة الطابور الخامس .. جواسيس آليون وقد تمت برمجتهم إلكترونيًا .. بحيث لا يعرفون شيئا سوى الواجبات التى يكلفون بها .. ولهذا أضفنا لذكائهم الصناعى عواطف كالحب والكراهية والخوف .. لأن غيابها سوف يؤدى إلى

فشل خططنا والكشاف أمرنا .. وهذا يوضح لك كيف أنك تمتعت بعلاقة حب طبيعية تماما .. مع (ج ا ٣٠١٧) !! لقد نجحت التجربة تماما .. ولم نكن نحلم بأكثر من هذا ..

وقفت هناك مشدوها .. مصدوما .. بتصديق ما رأيته .. وسمعته .. وأدركته .. وفجأة .. اتضحت أمامى الصورة بالكامل .. كستار أزيح عن أشعة الشمس ..

إننى مجرد .. روبوت !!

وألقيت سؤالا وحيدا :

— والآن ماذا ستفعلون بى ؟

أجابنى (ل م ١٢١١) .. الحقيقى ! قائلا :

— بعد أن تسجل تقريرا كاملا بما حدث .. سوف نعيد برمجتك .. ونعطيك مهمة جديدة .. بعد أن نجحت كجاسوس آلى !!

* * *

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

احترس ..
إننى داخل مخك !

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١ شارع [illegible] - القاهرة - ت ٥٨٤٠٩

ـ ١ ـ

تمدد الدكتور (باهر الحسينى) الأستاذ الجامعى .. ورئيس قسم جراحة القوى العقلية .. فوق الحشائش بجوار حمام السباحة .. واستسلم للنوم ..

كانت شمس نوفمبر .. دافئة على وجنتيه البرونزيتين .. والرياح المعتدلة تطير شعره الأبيض الناعم .. إلى قسمين جميلين ..

رفع إحدى ذراعيه فوق عينيه .. ليحميهما من أشعة الشمس التى تحتوى على نسبة عالية .. من الأشعة فوق البنفسجية .. بسبب الثقوب فى طبيقة الأوزون ..

بينما رداء المختبر الأبيض الطويل .. يلمع فى ضياء وقت الظهيرة ..

وفجأة .. دوى صوت ما .. نغمة جافة .. حادة .. وسمع صوت سكرتيرته (ماجى) :

ـ دكتور (باهر) ! دكتور (باهر) !

رنت الكلمات داخل عقله .. كانت الرسالة هى المكافئ التخاطرى لصيحة من أذنيه :

ـ (ماجى) ! لا داعى لكل هذه الضوضاء .. إننى فى فيلتى بجوار حمام السباحة !

جاءه اعتذار رقيق من سكرتيرته :

ـ إننى آسفة يا دكتور (باهر) ! لكن جهاز التخاطر الذاتى .. يعمل بطريقة غريبة ! لقد كلفتنى بالاتصال بك .. عندما يحين موعد طعام الغذاء ..

تساءل د. (باهر) فى دهشة :

ـ أحقا ذلك؟ وبهذ السرعة ! هل لدينا عمل حان موعد تنفيذه ؟ فإذا لم يكن هناك عمل .. اتصل بى مرة أخرى .. بعد نصف ساعة !

ردت (ماجى) بسرعة :

ـ إن لدينا تجربة عملية لطلبة السنة الأولى جراحة .. بعد ساعة واحدة .. حالة إزالة ورم بالمخ !

قال د. (باهر) موكدا :

ـ آه .. تذكرت .. سوف أكون هناك فورا .. أشكرك يا (ماجى) .. ربما يسعدك أن تعلمى أنك فى قمة الكفاءة كسكرتيرة .. ولكنك تسببين مضايقة لشخص مرهق مثلى !

ردت (ماجى) بفرحة :

ـ أشكرك يا دكتور .. أيضا اتصلت بك الصحفية (إيمان فوزى) من مجلة علوم المستقبل .. لتشكرك على حديثك معها .. وهى تقول إن ذلك على وجه الخصوص .. بسبب قدرتك الفائقة على تبسيط العلوم للقارئ العادى ..

لم تكن رحلة العودة من فيلته المقامة قريبا من أسوار جامعة (شرم الشيخ) .. إلى حجرة العمليات .. مضجرة .. إذ بدا أن الطريق المتحرك خلال الحديقة الكبيرة .. المطلة على البحر اندماج طبيعى فى البيئة المجاورة .. كما أن الساتر العلوى الشفاف ..

لم يكن يحجب شيئا من الرؤية .. ولكنه يحمى من الأشعة فوق البنفسجية الضارة بالإنسان .. والصادرة عن الشمس ..

وكانت الأشجار الباسقة تخفى أحيانا قرص الشمس .. وبرغم أن البرودة لم تكن كافية .. لكى تبدأ وحدة التحكم التلقائى لدرجة الحرارة .. فى تشغيل وسائل التدفئة .. إلا أن الجو كان باردا ..

زم الدكتو (باهر) رداء المختبر الأبيض حول جسمه النحيل .. لم يكن يهتم ببرودة الطقس .. فأولئك الذين يريدون الحماية الكاملة من البرد .. وأيضا السرعة .. كان باستطاعتهم ركوب الممرات المتحركة التى فى باطن الأرض .. والتى أطلق عليها (الأنفاق الدافئة).. أما من يستخدمون الطرق التى فوق سطح الأرض .. فكانوا يفعلون ذلك .. لأنهم يحبون طقس القرن الثانى والعشرين .. مهما كان .. كما أنهم يتمتعون بالتغيير ..!

* * *

وصل الدكتور (باهر) إلى داخل المبنى الصخرى .. المكتوب عليه .. بأحرف بنية بارزة .. على لوحة برونزية كبيرة بالمدخل :

(جراحة القوى العقلية)

كان مكتب د. (باهر) الأنيق .. ذو الجدارن الزجاجية .. يتيح رؤية حجرة العمليات الواسعة .. وربما تكتمل الاستعدادات الدقيقة .. للعملية الجراحية .. كانت الممرضات مشغولات بمراجعة قراءات أجهزة الليزر .. والرنين المغناطيسى النووى ..

وأخذ فنيو جراحة القوى العقلية .. فى اختبار صلاحية الكمبيوتر الطبى .. وجميع وسائل الإحساس المحيطية ..

كانت الدكتورة (شجون حلمى) مساعدة الدكتور (باهر) .. تجلس فى حجرتها .. تراجع .. وتفحص أكثر من خمسمائة نقطة مدونة .. بقائمة المراجعة .. لتتأكد من أن كافة وظائف كمبيوتر القوى العقلية .. تسير على أكمل وجه ..

وكان هذا الجهاز الحديث المتطور .. باستخدام الرقائق البيولوجية .. ليس مجرد آلة .. ولكنه يمكن أن يصبح امتدادا للدكتور (باهر الحسينى) .. وجزءا من مخه .. بحيث يكبر قواه العقلية البشرية .. إلى وظائف عديدة .. نافعة .. ومفيدة !

* * *

ازدحمت القاعة فعلا بالطلبة المتحمسين .. الذين يريدون التخصص فى الجراحة العقلية .. ولأنها المرة الأولى التى يحضرون فيها إلى حجرة العمليات .. فقد كانوا يرمقون كل شىء فيها .. باهتمام شديد .. وإعجاب .

سار الدكتور (باهر) إلى داخل حجرة التعقيم .. وأحاطته أشعة الليزر المطهرة للحظات .. وبعد أن أتم استعداداته .. دلف إلى حجرة العميات ..

كان يعتقد فى نفسه أن الملابس الخضراء الخاصة التى يرتديها .. تجعله يشعر فى كل مرة .. بأن هناك ما يدفعه لتحقيق شىء ما ..

وبينما هو يسير عبر أرضية حجرة العمليات .. بخطوط متثاقلة .. رفع بصره محدقا فى القاعة الكبيرة البيضاوية .. التى كانت تنظر إليه بأسفل .. وتذكر عندما كان طالبا فى أول تجربة كاملة له ..

بدا ذلك مختلفا نوعا ما .. برؤية الجراحة تتم .. بدلا من

الخوض فى داخل المخ ! من خلال مشاهدة شريط فيديو قديم .. كانت فعلا تبدو حقيقية أول مرة .. ولكنك تعرف دائما بعد ذلك .. أن النتيجة قد تقررت .. فإذا مات المريض فى هذا الشريط المسجل .. فمعنى ذاك أنه توفى منذ فترة طويلة .. أما اليوم فلا أحد يعرف .. ما إذا كان المريض سوف يموت .. أو يبقى على قيد الحياه،.. وهل سيصبح صحيحا معافى بعد العملية .. أم أنه سيصير كسيحا أو معوقا طوال حياته .. هذه هى الحقيقة فعلا !

غمغم د. (باهر) لنفسه :

ــ أرجو أن أنجح هذه المرة !

وبينما هو يأخذ طريقه إلى حجرة القوى العقلية .. الملحقة بحجرة العمليات .. ليرتدى (الهالة) .. وضع الفنى .. الشريط البلاستيك الأخضر الشفاف .. حول رأس الجراح الشهير .. وتأكد من حسن الاستقبال من (الهالة) ..بالكشف عليها بجهاز الكمبيوتر الطبى ..

وعندما قال العامل الفنى العقلى :

ــ كل شىء على مايرام يا د. (باهر) !

استدار د. (باهر) ليخاطب مجموعة الطلبة الجالسين فى الطابق العلوى .. كانوا موجودين وراء السقف الزجاجى .. ولا يمكنهم سماع صوته .. ولكن عن طريق (الهالات) التى يرتدونها .. وهى أجهزة استقبال وإرسال بالغة الدقة .. وتعمل بمقابض طرفية للتحكم عن بعد .. وتبرز من المساند اليسرى لمقاعدهم الجلدية .. سمع الطلبة د. (باهر) .. وهو يتكلم بوضوح .. كما لو كان

يجلس بجوار كل واحد منهم :

ــ مساء الخير أيها الأطباء الشبان .. اليوم هو أول تجربة عملية لكم .. وأحب أن أحييكم بهذه المناسبة .. وهذه أكثر من مجرد محاضرة علمية فى كيفية الجراحة العقلية .. إنها علامة هامة فى طريق متابعة التخصص .. الذى اخترتموه لأنفسكم .. إن مهمتنا اليوم هى .. إزلة ورم خبيث صغير جدًا .. فى مكان ما من الفص الأوسط الأمامى للمخ .. ولسوء الحظ فإننا لن نتمكن من تحديد مكانه .. حتى نصبح فى داخله ! ونوصل مجسات الإحساس فى أماكن مختلفة .. بطبقات الغلاف المخى .. لإعطائنا صورة مجسمة ثلاثية الأبعاد ..

تريث د. (باهر) لعدة ثوان ثم أردف قائلا :

ــ ... المريض (رامز سعد) فى السابعة والثلاثين من عمره .. وحالته الصحية لا بأس بها جسمانيًا .. لكن يبدو أن المتخصصين النفسيين الآليين .. قلقون بشأنه .. لكنهم على كل حال .. غامضون .. وغير متأكدين من المشاكل المختفية عنده .. ويبلغ مقياس رغبته فى الحياة (٨٩) .. وهو رقم معتدل .. ولذلك فكل ماترجوه .. ألا يكون فى انتظارنا هناك .. أية مشاكل ...!

وفى أفضل التوقعات .. سوف ندخل إلى المخ .. ونخرج منه .. فى غضون عشرين دقيقة ! ويعود المريض إلى منزله .. بعد ظهر الغد ..

توقف د. (باهر) ثم كرر بهمس :

ــ ... فى أفضل التوقعات !!

وسوف أعطى لكم فرصة لإلقاء أسئلتكم بعد العملية .. ولكن نظرا لأنكم مجموعة من الأطباء الشبان .. المفرطين فى التفاؤل .. المفتونين تماما بأهمية الجراحة الليزرية .. فإننى سألقى عليكم سؤالا .. يجب أن تسألوه لأنفسكم .. وهو :

لماذا نجرى عملية لهذا الرجل .. لورم بسيط فى مراحل تكوينه الأولى بينما توجد طرق أخرى كثيرة .. لتدمير الخلايا السرطانية مثل الأشعة الحرارية .. والسينية .. وابتعاث البوزيترون ؟!

أيها الأطباء الشبان .. إننا نتعامل مع أهم وأخطر وأدق عضو فى الجسم .. المخ البشرى ..!! لهذ فإننا سوف نستخدم جهاز القوى العقلية .. وهو كمبوتر طبى فائق القدرة .. وفى أثناء هذه العملية سوف نشاهد باستمرار الورم السرطانى .. من خلال المجالات الحيوية .. وسيكون ذلك غامضا .. ومشوشا فى البداية .. ولكن سيزداد وضوحا .. بعد ما تقترب وسائل المجسات الحساسة .. من الجزء المريض ..

ويمكن أن تحصلوا من الكمبيوتر الطبى ـ بوساطة الأجهزة التى أمام كل واحد منكم ـ على كل المعلومات التى تريدونها .. فى أى وقت .. دون أن يشوش أحدكم على الآخر .. وسوف تحصلون على نفس الإجابة .. التى أحصل أنا عليها .. من هذا الكمبيوتر الطبى الفائق ..

وبوساطة (الهالات) التى على رءوسكم .. سوف تشعرون دائما .. بأنكم تمسكون بالمشرط الليزرى .. وأنا أشجعكم على توقع كل حركاته .. وهو لن يسبب أذى .. لأننى سوف أكون مسيطرا على كل مراحل إجراء العملية الجراحية ..

تمنياتى لكم بحظ سعيد ..

وتأكدوا من تسجيل هذه العملية الجراحية الفريدة .. بشكل دائم لديكم .. فسوف تحتاجون لاسترجاع تفاصيل هذه التجربة بتشغيل الشريط المسجلة عليه .. ربما لعدة سنوات قادمة .. وبعد ذلك ستكون محيرة أو مربكة .. لأن ذلك سنة الحياة !

والآن انتبهوا معى .. للتجربة المثيرة .. الفريدة !

ـ ٢ ـ

استدار د. (باهر) من جهة قاعة الطلاب .. وبدأ يجلس فى مقعد التحكم العقلى .. خلف منضدة العمليات .. وفى غضون ذلك .. أدخل المريض بعد تخديره .. وجهز للقطع بالمشرط الليزرى .. الذى دخل بهدوء فى اللحم الأحمر الوردى .. تاركا خطا من قطرات الدم .. سرعان ما سال خلال التغضنات المرهقة ..

أوقفت الممرضة السائل الأحمر القانى .. بوساطة قطع كبيرة من الشاش المعقم .. امتصت بسرعة الدم المنزوف .. ثم

استخدمت شدادات الأنسجة فى فتح الجلد إلى الخلف .. للكشف عن عظمة لوحة الجمجمة ..

وطن صوت مثقاب صغير .. وهو يشق طريقه خلال الجمجمة .. وكل قطع العظام المتناثرة .. وقطرات الدم .. ثم شفطها جيدا بوساطة وحدة خاصة ..

كان د. (باهر) وهو فى كامل وعيه .. ينسحب من جسده .. ويدخل ببطء فى كمبيوتر القوى العقلية .. كرائد فضاء يختبر سفينته الحديثة فائقة التعقيد قبيل الانطلاق .

لم يكن المقعد الذى يجلس عليه د. (باهر) .. مكانا للطبيب الجراح فحسب .. بل كان أداة عقلية فى حد ذاته .. ويتضمن مجموعة من الكمبيوترات الطبية التى تعمل مثل أيدى .. اثنى عشر جراحا إلكترونيًا .. مساعدًا .. وكان بمقدورها أن تمسك .. وتحرك .. وتمسح .. وتكشط .. وتبتر .. ويتحرك كل منها .. حركة مجهرية دقيقة .. وكلها منظومة داخل الكمبيوتر الرئيسى الفائق .. وكذلك جزءًا من كيان د. (باهر الحسينى) ذاته .. فى أثناء المرحلة الحرجة .. من الجراحة داخل المخ .. عندما أصبح الجراح الشهير .. مسافرا داخل متاهة العقل المريض .. لإنسان آخر !

* * *

أخذ د. (باهر) يسبح فى مجرة رباعية الأبعاد .. ويشعر بالدوار .. وانعدام الوزن .. والنشاط .. والخوف المرضى من الأماكن الضيقة ..

وكان الطلاب فى هذه التجربة العملية الحية .. وعن طريق

(الهالات) التى يرتدونها .. يمكنهم الإحساس والفهم والممارسة الفعلية .. وحتى بضغط المشرط الليزرى .. على النسيج العصبى الحى .. وبالصراع المميت للخلايا .. وهى تتعرض للكى بضربات الأشعة تحت الحمراء ..

ثم تم إدخال مشرط ليزرى صغير .. به أطراف حساسة كثيرة .. ببطء فى المخ .. من خلال الثقب الدقيق الذى فتحه المثقاب .. ثم برزت أطراف التحسس الثانوية .. من قاعدة الجزء الداخلى .. للمشرط الليزرى .. وبدأت تتلمس طريقها حول غلاف المخ من الخارج .. حتى وصلت إلى المواضع المبرمجة إلكترونيًا عليها .. ومن هناك بدأت تحصل على البيانات .. وترسلها على الفور .. إلى كمبيوتر القوى العقلية ..

* * *

بدأ الدكتور (باهر) فى السيطرة على الحد القاطع للمشرط الليزرى .. واختبر تحريكه فى جميع الاتجاهات .. دون أن تتعدى حدود حركته ميكرون واحد .. أى واحد من ألف من المليمتر .. وفحص الأدوات المختصة بتدمير الخلايا .. فى النسيج الضام .. وبدأ تشغيلها .. فتوقفت الوظائف الحيوية .. وأظلمت الألوان الدافئة المميزة .. للمادة الحية .. كما لو أن المفتاح الذى يهبها الحياة .. قد أغلق !

ثم أخذ د. (باهر) يخفض المشرط الليزرى .. داخل خندق عميق متغضن .. فى المخ .. نازلا بين الأنسجة العصبية الحية .. وسرعان ما تلاشت الأصوات الصاخبة .. القادمة من الشلال البعيد .. للخلايا السطحية .. وهى تنبض بالحياة .. ثم وهى تموت ببطء .. وأعقب ذلك سكون تام !

وكان د. (باهر) يجيد الاعتماد على حواسه فى أثناء الجراحة .. والتحرك بالمشرط إلى اتجاهات متعددة .. بدلا من التغلغل فى خطوط مستقيمة داخل المخ ..

إزداد تعمق د. (باهر) .. بحرص .. واستخدم أطراف التحسس قصيرة المدى .. ذات المجالات الحيوية ..

وفجأة .. ظهر الورم السرطانى !!

— ٣ —

جسم مركزى له امتدادات تبرز فى جميع الاتجاهات .. وتحاصر بعض خلايا المخ .. التى بدأت تحتضر ..! كانت الخلايا السرطانية .. الشيطانية .. تعتصر رحيق الحياة منها .. وتخمد أنفاسها .. سمع د. (باهر) الصوت الآلى .. لكمبيوتر القوى العقلية :

— ابدأ فى الاقتراب الشديد .. أدخل التجويف .. واستعد لقطع سريان الدم .. إلى الورم السرطانى ..

رسم د. (باهر) استراتيجية المعركة .. وخطوط القتال .. والأسلحة المستخدمة ..

استطرد الكمبيوتر الطبى .. بسرعة :

— بداية الأوامر .. انقل المشرط الليزرى إلى المكان الصحيح ..

لاحظ د. (باهر) المشرط وهو يتحرك حول الورم .. كانت البروزات الحمراء اللامعة .. تتحرك بشكل دوامى .. ومن وقت لآخر .. تنقسم خلية الورم السرطانى .. وتتغلغل فى خلية سليمة .. بحيث تحطم ضحيتها .. وتمزقها ..

إن الخلايا العصبية للمخ .. لا تموت مثل خلايا الأنسجة الأخرى فى الجسم فهى تصرخ .. وتتألم .. ثم تموت !

اقترب المشرط الليزرى من الجانب المفرغ للورم . ثم خلال مجرى ضيق فى المخ .. وهكذا دخل د. (باهر) .. نسيج المخ من خلال جدار الفجوة .. سائرا مع النسيج الضام .. ومجرى الدم .. متجنبا الاصطدام بالخلايا العصبية .. إذ كان يكفى ما يسببه الورم السرطانى من تلف .. وتدمير ..

اكتملت عملية تغيير مكان المشرط الليزرى .. وبدأ فى قطع مصادر التغذية الرئيسية بالدم .. بداية التسلسل .. وأخذت الكمبيوترات المبرمجة المساعدة .. فى إطلاق أطراف متحركة .. أحاطت بكتلة الورم .. وضغطت الأوعية الدموية الدقيقة .. والخلايا الحمراء المتهرئة .. والبلازما .. إلى كتل رخوة .. متجلطة .. سدت كل مجرى دموى .. وحرمت الورم السرطانى .. من المزيد من الأكسوجين .. والمواد الغذائية ..

لقد بدأ الحصار .. وعزلت حصون العدو !

أخذ الورم الخبيث .. يرتعد .. ويتشنج .. ويحكم قبضته على الخلايا المحاصرة .. فى التجويف داخله .. فقد احتاج إليها الآن .. بعد أن قطعت عنه مصادر الغذاء !

صدرت الأوامر مرة أخرى من كمبيوتر القوى العقلية :

— دمر الخلايا المتغلغلة .. يجب بقاء التجويف مفتوحا .. واستمر فى ربط الأوعية الدموية ..

سمع د. (باهر) للوظائف التلقائية للمخ بالعمل .. وما دامت الأمور تسير طبيعيا .. فإنه يجب أن يراقبها عن كثب .. وإذا صادفته أى صعوبة .. فإن الكمبيوتر الفائق سوف يخبره بها .. دون مواربة ..

وهنا بدأ د. (باهر) فى ممارسة الوظيفة الفعلية لجراح القوى العقلية ..

راقب الأفكار المنعكسة .. وانطلاق الذكريات والأحداث .. من سجن العقل الباطن .. الغامض .. بعد أن أثارها المشرط الليزرى .. والورم السرطانى .. والمعركة الجراحية ..

وبدأت الأحلام فى مخ المريض ..

* * *

تسللت بقعة من ضوء شمس بعد الظهيرة .. من خلال أوراق شجرة البلوط الباسقة .. وسطعت على الشعر الكستنائى الناعم .. الذى يحيط بالوجه الأبيض الفاتن لـ (سونيا) .

لاحظ (رامز) البقعة وهى تتحرك .. مع تموجات الشعر .. بينما نسمة من الهواء تهب على أوراق الأشجار ..

لمحت (سونيا) نظرته المحبة إليها .. وأعادتها إليه .. برقة ..

تظاهر بأنه ينظر فيما وراءها .. إلى الأطفال الواقفين عند البحيرة ..

رفعت أجفانها .. وابتسمت برقة .. وأغرقته فى سحر عينيها الذهبيتين ..

تأملها معجبا .. وهمس :

ـ أحبك ..

تألق وجهها .. وتمتمت :

ـ حياتى من أجلك ..

وأسرعت ضربات القلبين .. واندمجت فى كيان واحد .. نورانى .. كومضات تسرى عبر السماء .. من شهاب مار ..!

* * *

قال كمبيوتر القوى العقلية :

ـ توقفت تغذية الدم .. للورم الخبيث تماما ! .. فتحول إلى كتلة هلامية سائلة !! استعد لبدء تحطيم الأنسجة السرطانية .. بالاتصال المباشر ..

مقياس الرغبة فى الحياة لدى المريض (٩٥) .. ومازال يرتفع !.

أخذ مقياس الرغبة فى الحياة يرتفع باطراد ..

لم يعجب د. (باهر) لذلك .. فقد كان لهذا المريض (رامز سعد) .. الكثير الذى يعيش من أجله !

عاد الكمبيوتر يصدر تعليماته :

ـ ... ابدأ فى تحطيم الأنسجة المتورمة .. بداية التسلسل ..

تقدم المشرط الليزرى كثيرا .. إلى قلب تجويف الورم الخبيث .. وأخذ يقطع أنسجته .. ويعزل أجزاءه عن النسيج السليم .. وخلقت حرارة الليزر .. ومجالات الطاقة المتولدة من المجسات الحساسة .. فوضى فى الخلايا السرطانية .. وحولتها إلى أكياس من الكيماويات المشتتة .. التى تكاد تخلو من الحياة ! :

ـ .... حدد التسلسلين السابقين للذاكرة .. الخاضعين لبيانات الاسترجاع .. عند صدور التعليمات .. وأثير مرة أخرى العقل الباطن ..

واستمرت الأحلام فى مخ المريض (رامز سعد) ..

* * *

بدأت السماء تضىء .. لم يكن هناك أى أفق .. بل التقاء متداخل للفضاء .. والماء .. فى ذلك الفجر الرائع ..

وفجأة .. تحول لون سحابة صغيرة .. إلى الأبيض الفضى الملتهب .. وتوهجت .. علامة على ميلاد يوم جديد ..

وعندما لمست (سونيا) يديه .. تستدفئ بهما من البرد .. شعر (رامز) بومضة عبير .. تلف الوجود كله ..

قال هامسا .. ونظراته الولهى .. تطوقها :

ـ (سونيا) ! هل تتزوجيننى ؟

ثم أشرقت الشمس !

* * *

اكتمل تدمير الورم الخبيث .. تدفق الدم عاد الآن .. إلى معدله الطبيعى ..

أوشك د. (باهر) على بدء خطوات .. سحب أدواته الجراحية .. لكنه شعر بأن ثمة شئا ما .. ناقص .. لم يكتمل .. حقا كان يمكنه الاعتماد على كمبيوتر القوى العقلية .. فالعلاقة بين الإنسان .. والآلات ذات الذكاء الصناعى .. قوية .. فى القرن الثانى والعشرين .. ولكن الإنسان لا يعرف حتى كل مايدور فى عقله ذاته ..

استعاد د. (باهر) خبرته العملية الطويلة فى الجراحة وقال للكمبيوتر :

ـ قدم تقريرا عن جميع المتغيرات فى مخ المريض .. التى يمكن قياسها ..

استوعب د. (باهر) كل المعلومات الطبية .. التى أعطيت له فورا .. من كمبيوتر القوى العقلية .. وغيرت من أبعاد الصورة ثلاثية الأبعاد .. المنطلقة كومضة الضوء فى أعماق عقله .. عن مخ المريض (رامز سعد) .. الألوان .. والروائح .. والمرئيات .. والأصوات .. والحواس .. التى لا تدرك بغير ذلك .. والأحلام العائمة فى الفراغ .. العوالم الخيالية .. بقعة من السواد .. فى قلب الضوء .. نقطة داكنة .. فوق قماش أبيض ناصع !

جاءه تقرير عاجل .. من الكمبيوتر الطبى :

ـ تم اكتشاف ورم خبيث ثان ! أطراف التحسس ذات المجالات الحيوية .. تأخذ مواضعها الجديدة الآن .. للحصول على أحدث المعلومات .. استعد لبدء تغيير وضع المشرط الليزرى .. للهجوم على هذا الورم السرطانى !.

راقب د. (باهر) الصورة التى تجسدت بفعل المجالات الحيوية .. وهى تتضح .. بينماأطراف التحسس تبرز تجاه البقعة السوداء ..

كان يعرف أن احتمال نمو ورم خبيث ثانوى .. من ورم أصلى .. فى مرحلة مبكرة كهذه .. هو احتمال ضئيل جدا لكن مع كل تحسن فى الصورة .. أحس أن أمامه .. معركة شرسة للغاية !

ـ ٤ ـ

أعطى التطور لهذا الورم السرطانى الجديد .. دفاعات وقوى عقلية .. ونفسية تختلف عنها فى أنسجة الجسم السليمة ..

فالأورام الرئيسية تكون أكثر ارتباطا بالنسيج العائل لها .. وموت العائل .. معناه موت الورم !

لكن هذا الورم الثانوى الخبيث .. ليست عليه مثل هذه القيود .. إذ إنه يتكون من خلايا فتاكة .. تزداد قدرتها التدميرية مع مرور الوقت !

سمع د. (باهر) صوت كمبيوتر القوى العقلية .. داخل مخه :

ــ ابدأ فى تغيير المشرط الليزرى .. واربط الأوعية الدموية .. قطع تغذية الدم إلى الورم الخبيث الثانوى غير ممكن .. إذ سوف يؤدى إلى تعطيل أداء المخ لوظائفه العادية !

أدرك د. (باهر) السبب فى عدم إمكان قطع تغذية الدم إلى الورم .. إذ كان موجودا بالقرب من جدار شريان رئيسى ..يغذى منطقة المخ .. المسئولة عن الخيال .. والتصور ..! وهى منطقة مجهولة لعلماء التشريح !

مرة أخرى .. جاءت تعليمات كمبيوتر القوى العقلية :

ــ ... ابدأ فى تدمير الخلايا وثيقة الصلة بالورم ..

فجأة .. صدمته الموجة الأولى .. اجتاح الخوف عقله .. وجعله فى حالة انفسية غريبة ..

زاد د (باهر) من قوة إرادته .. بدأ المشرط الليزرى يقترب من الورم الخبيث .. ولكنه وجد مقاومة .. فالورم يدافع عن كيانه !

كان يمكن للبرنامج الطارئ لكمبيوتر القوى العقلية .. أن يتجاهل الأوهام .. والخيالات ..

ولكن د. (باهر) لم يكن يستطيع ذلك .. إذا كان مضطرا

لدخول المعركة بنفسه .. معتمدا على قدراته الذاتية .للدفاع عن (رامز سعد) .. الذى كان يقاتل .. نيابة عنه .. وجاءت الأحلام من العقل الباطن .. فى ضباب مطرز بالماس .. المتألق !

* * *

طوحت (سونيا) شعرها الكستنائى .. وابتسمت .. تأمل فى واحتى عينيها .. فأسدلت جفنيها .. على نغمات هامسة .. للحن الحب .. وهالة من الدفء تحيط بهما ..

يمد (رامز) يده .. ويلمس شعرها الناعم .. ويقول هامسا :

ــ هكذا أحبك ..

يتهلل وجهها :

ــ كل هذه السعادة ! أكاد لا أصدق ! سأبقى دائما معك !

وشدت طيور الصباح .. على أغصان أشجار البلوط .. دائم الخضرة .. ربيع لا ينتهى .. وشباب لا يشيب ..!

* * *

فجأة .. أتى الصوت الآلى .. الرتيب لكمبيوتر القوى العقلية :

ــ ... مقياس الرغبة فى الحياة يقل .. الآن (٨٥) ..!

لكن لماذا ؟ لم يجد د. (باهر) أى سبب لذلك .. إن حلم (رامز) المؤثر .. والذى يأتى إلى ذهنه فى نفس الوقت .. بدا سعيدا بما يكفى !

استطرد الكمبيوتر الطبى :

ــ .. استمر فى تدمير الورم الخبيث !

* * *

كانت سيارة (سونيا) مندفعة إلى الأمام .. وتقترب من مفارق الطرق . وخلال الأشجار .. كان يندفع قطار على البعد .. فى صمت رهيب .. وإشارات التحذير لا تعمل ..

وبدأ قلب (رامز) يدق بعنف !

اهتاج عقل د. (باهر) .. لقد وجد أن الورم الغريب .. لا يستسلم للموت .. إنه يرد الهجوم عليه .. من خلال تأثيره فى المخ الذى يعيش فيه ..

صرخ د. (باهر) للكمبيوتر :

ـ زد قوة تشغيل المشرط الليزرى !

كان القطار مايزال مندفعا فى طريقه خلال الظلام .. بينما أخذت طيور الليل .. تطلق عويلها الحزين ..

سيارة (سونيا) تقترب من مفارق السكة الحديد ..

رأى (رامز) القطار .. منطلقا تجاه ممر السيارة .. و(سونيا) تلوح له بيدها .. وهى غافلة تماما .. عن الخطر الداهم المحدق بها !

صرخ د. (باهر) بقمة انفعاله :

ـ إعادة تشغيل ! إعادة تشغيل ! زد القوة .. للإفلات من أفكار الأحلام ..

وهنا أزت نبضات قوية من أشعة الليزر .. منطلقة من المشرط .. إلى الخارج ..

كان د. (باهر) مضطرا لإيقاف الكابوس .. الذى أخذ الورم الخبيث ينشنه فى عقل (رامز) .. ويكاد يقضى عليه !

ـ ٥ ـ

كان هذا الورم الغريب .. فى خضم لحظات الانفعال الشديد .. والدفاع عن كيانه .. يحاول أن يقتل .. ويدمر ..! فأخذ يطلق العنان للخيالات البشعة .. لكى تفتك .. وتعربد .. كما تشاء ..

بدا صوت كمبيوتر القوى العقلية قلقا :

ـ مقياس الرغبة فى الحياة (٥٢) .. ومستمر فى التناقص .. بسرعة !

اختفى الأفق عن الأنظار .. وجاء صوت قطار الظلام .. يصرخ بلا انقطاع ..

كانت الإشارات الضوئية معطلة .. ولم تر (سونيا) شيئا !

اكتسح الوحش المعدنى المنطلق .. سيارتها بلا رحمة !

كان (رامز) مضطرا لرؤية كل ما حدث .. إذ فقد السيطرة على عينيه .. ووجد نفسه يحملق مشدوها حوله ..

طار جسد (سونيا) ثم ارتطم بالحاجز الأمامى لسيارته .. وأخذ الدم ينزف من أنفها .. وفمها .. ثم انزلق جسدها جانبا .. إلى العشب .. بعد أن أحدث لطخات دموية على الزجاج الأمامى .. لسيارة (رامز) ..

ملأت رائحة الموت الكريهة المكان كله .. لكن (رامز) لم يحس بها .. إذ كان يصرخ فى ذهول !

* * *

جاء صوت الكمبيوتر الطبى .. وسط الكابوس :

ــ .. مقياس الرغبة فى الحياة (٢٠) .. ومستمر فى التناقص إلى دون مستوى القياس .. وظائف القلب تسوء .. بداية التنبيه التلقائى بالصدمات الكهربية .

كان الدكتور (باهر) يقاوم .. فى ضوء الحقائق التى يعرفها .. أخذ عقله يصرخ فى كيانه .. كرئة تئن لشخص يغرق .. للخروج من حالة الجنون ..

اكتسحته مرة أخرى .. موجات الخوف المروع .. إذ إنه أصبح جزءا من الكابوس الذى يتراءى لـ (رامز) ..!

كان د. (باهر) ممددا فوق شريط السكة الحديد .. والقاطرة تندفع نحوه .. بسرعة هائلة .. لم يكن هناك أى شىء يقيده .. ولكنه لم يستطع التحرك !

اقترب القطار الفضى .. أكثر .. فأكثر .. والعجلات تطحن القضبان .. وتصدر شرارات نارية .. فى طريقها إليه !

صرخ د. (باهر) فى هيستيريا :

ــ ساعدنى ! إننى أغرق فى كابوس المريض !

رد كمبيوتر القوى العقلية .. بعد عدة ثوان :

ــ اعتراض خط الكابوس .. التوازن الكهربى للمريض يتدهور بسرعة .. بداية ضخ الدم بالطرق الآلية .. الفسيولوجية .. نشاط العضلات يضعف .. محاولات الاستعاضة الكهربية فشلت .. الزمن المقدر للانتهاء من استئصال الورم الخبيث خمسون ثانية .. احتمال بقاء المريض على قيد الحياة .. يقترب من الصفر ..!

صرخ د. (باهر) :

ــ ماذا أفعل الآن ؟

أجابه الكمبيوتر الطبى الفائق فورا :

ــ استعد لبدء الانسحاب ! .. التوقف عن الجراحة أمر ضرورى بعد عشرين ثانية .. مالم يحدث تحسن ..

استوعب د. (باهر) المعلومات فى الحال ..

لا .. إنه لن يتوقف .. ولن يستمع إلى أوامر الكمبيوتر .. فهذه مسألة إنسانية .. تخص البشر وحدهم ! فيجب أن يؤدى واجبه على أكمل وجه .. لإنقاذ حياة المريض ..

كان د. (باهر) يعلق كل آماله الآن .. على حافة المشرط الليزرى .. بعد أن نجح الكمبيوتر فى طرد المخاوف الدفاعية .. التى يقذفها الورم المحتضر .. فى داخل عقله .. وبسرعة وجه د. (باهر) كل تركيزه .. على مخ (رامز سعد) :

ـ (رامز) ! (رامز) ! لابد وأن تستمع إلىّ .. إن هذا مجرد حلم مزعج .. كابوس .. سراب خادع ! إن (سونيا) لم تمت .. لقد تحدثت إليها صباح اليوم .. وهى بخير وعافية .. إن كل هذا مجرد حلم .. يجب أن تعيش يا (رامز) .. فلديك كل ما يستحق أن تعيش من أجله !

ـ ٦ ـ

دارت قطع المخمل الأسود .. حول المقعد الوثير .. شعر الدكتور (باهر) بأنه فى حالة انعدام جاذبية .. كان حانقا .. وهو يقاوم ضد قوى شريرة .. ولكنه أحس بالراحة .. إذ استطاع أن ينقذ حياة المريض .. ونجحت تجربة الاندماج مع كمبيوتر القوى العقلية .. داخل مخ المريض (رامز سعد) .. !

فتح عينيه ببطء .. وبدأ عقله الرحلة فى النفق الطويل .. ثم بدأ تدريجيًا يحتل جسده مرة أخرى .. أحس بالعرق يتصبب فى كل جسمه .. وتذكر كم استجاب لعواطف .. ومشاعر متباينة .. وشهد الحب .. والألم .. السعادة .. والعذاب .. إن عضلاته نفسها .. تأثرت بكل هذا الانفعال .. والتوتر ..

نهض من المقعد الجلدى الوثير .. بعد أن فك القنيون الأحزمة .. وخلعوا (الهالة) من فوق رأسه .. لكن مرفقه الأيمن .. كانت به كدمة من أثر ضغط التوصيلات المعدنية .. بكمبيوتر القوى العقلية ..

سار د. (باهر) فوق ساقين متخاذلتين .. إلى منتصف حجرة العمليات .. وبتركيز شديد أبعد أسنانه عن الواقى المطاطى .. الذى كان فى فمه .. ثم تحدث تخاطريا إلى مجموعة الطلبة المرتبكين .. الحائرين فى داخل القاعة :

ـ أيها الأطباء الشبان ! أرجوكم لا تطرحوا على أى أسئلة حتى الغد !

قام بتغيير ملابسه بسرعة .. وخرج مندفعا من مكتبه .. ومر بجوار سكرتيرته (ماجى) .. التى أوقفته صائحة :

ـ د. (باهر) !

استدار لكى ينظر إليها .. بعينين مجهدتين .. فقالت له :

ـ ... لقد ألغيت بقية مواعيد اليوم !

ابتسم .. ولم يرد عليها .. بل اكتفى بإيماءة من رأسه .. وفهمت كل شىء ..

اختار الممر المتحرك تحت الأرضى .. حتى مخرجه بجوار حمام السباحة بفيلته ..

كانت السماء رمادية .. ممتلئة بالسحب المتموجة .. التى تنذر بعاصفة رعدية .. فقد بدأ شهر نوفمبر .. ينم عن طبيعته الشتوية .. وأصبح الجو باردا .. رطبا ..

توقف د. (باهر) ليأخذ نفسا عميقا .. ثم أخرجه ببطء .. ومازال فى ذهنه .. صورة ذلك الورم الخبيث الثانوى .. فقد بدا له حيا .. بشكل غير طبيعى ! ودافع عن نفسه .. بشراسة .. كما لو كان .. كائنا غريبا .. من عالم آخر !!

* * *

روايات مصرية للجيب

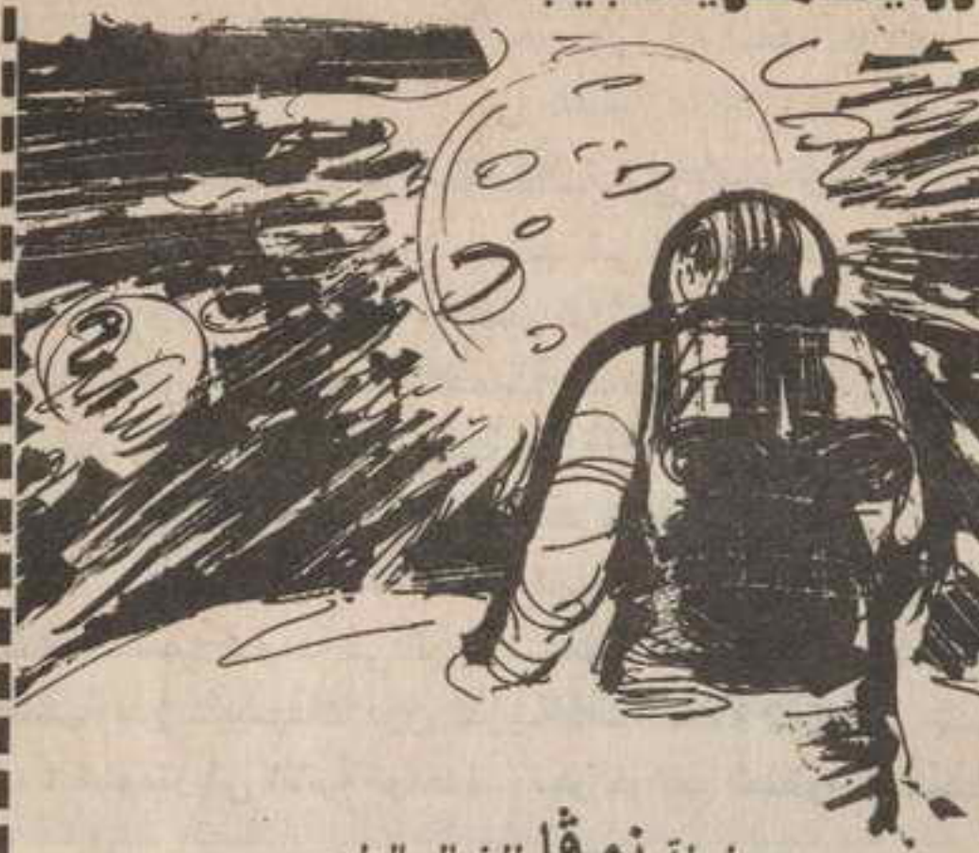

سلسلة نوفا للخيال العلمى

ثورة فوق الشمس

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١ شارع سلطان باشا بالفجالة - القاهرة - ت ٩٥٥٥٠٩

فجأة حدثت انفجارات مروعة متتالية فوق سطح الشمس .. ألسنة الغازات الهائلة تشق عنان سمائها فى نافورات نارية جبارة .. تذهب إلى ارتفاعات شاهقة .. تصل إلى آلاف الكيلومترات ..

وسرت فى أتون الجحيم الشمسى .. تيارات كهربائية رهيبة .. أدت إلى توليد مجالات مغناطيسية هائلة .. وتكونت البقع الشمسة .. ذات الشكل الواضح المحدد .. منطقة مركزية داكنة تسمى .. الظل .. محاطة بمنطقة أكثر إضاءة . شبه الظل .. وبدت البقع الشمسية فى شكلها المتأجج كدوامة فى أتون الشمس المستعر .. أطلقت رياحا شمسية من الجسيمات دون الذرية ذات الطاقة العالية .. بسرعة ٤٠٠ كيلومتر فى الثانية الواحدة .. نحو كواكب المنظومة الشمسية !

ـ ١ ـ

أخذت الدائرة الإلكترونية لجهاز الاستقبال .. تصدر كل أنواع الضوضاء .. التى لم يكن لها أن توجد قط .. وشعر رائد الفضاء (كمال دياب) بنوع من الذعر لحظات .. ثم ما لبث أن ألقى نظرة سريعة إلى الشمس .. من فوق كتفه .. واستطاع رؤية شىء داكن .. عند الحافة اليسرى لقرص الشمس ..

جاءه صوت خبيرة الاتصالات الليزرية (نجوى مراد) .. بنبرات حادة يمكن تمييزها وسط الضوضاء الإلكترونية .. قائلة :

ـ (كمال) ! هل تسمعنى ؟

تنهد رائد الفضاء (كمال دياب) ثم رد بقوله :

ـ أجل ولكن لا أكاد أسمعك !

أتى الصوت المتقطع مرة أخرى :

ـ ما المشكلة عندك ؟

أصبح التأخير الزمنى الآن .. أطول ما يكون .. حيث إن سفينة الفضاء .. كانت تقترب من مكان الهبوط ..

استطردت خبيرة الاتصالات (نجوى) قائلة :

ـ ... هل يمكنك فحص جهاز الاستقبال فى سفينتك ؟ وبالتحديد دائرة ...

قاطعها (كمال) بعصبية :

ـ إن الخطأ ليس فى الأجهزة .. هل ألقيت نظرة على الشمس مؤخرا ؟

جاء الرد سريعا .. ولكن الكلمات كانت غير واضحة .. ومتداخلة :

ـ أنا لم أترك محطة المتابعة منذ خروجك ! اخبرنى .. ماالذى حدث للشمس ؟!

رد رائد الفضاء (كمال) ببطء :

ـ هناك أكبر بقعة شمسية رأيتها فى حياتى .. هل يمكنك فحصها بالتلسكوب ؟

أجابت (نجوى) دون حماس :

ـ حسن .. ولكن لماذا ؟

رد عليها (كمال) بسرعة :

ـ حتى يمكن معرفة كم من الوقت .. سوف يستمر هذا التشويش المتفجر .. فى الاتصالات ؟

قالت دون اهتمام :

ـ سوف أقوم بذلك !

ثم صمتت لمدة دقيقة كاملة .. كما لو كانت تغطى وحدة الإرسال .. لتحدث شخصًا آخر .. ثم أضافت قائلة :

ـ ... كم تبعد عن سطح كوكب المريخ الآن ؟

راقب رائد الفضاء (كمال) جهاز قياس الزمن وقال :

ـ حوالى ٢٦٠ ثانية .. إن إجراءات الفرملة تبدأ عند ١٥٠ ثانية .. بتخفيض السرعة .

تنهدت بارتياح قائلة :

ـ حسن .. إنك تتبع البرنامج المتفق عليه ..

ولم ينجح كلام (نجوى) الرسمى .. المنمق فى إخفاء شعورها بالانفعال الشديد .. واستطردت :

ـ ... إننا نراقبك .. ونسمعك .. ونتمنى لك حظًا سعيدًا ..!

شكرها (كمال) .. ثم جذب نفسه بعيدًا عن جهاز الاستقبال الليزرى .. الذى كان يقبض عليه بيديه .. بينما كانت أحزمة مقعد السرعة .. ترتفع فى الهواء ..

أمسك (كمال) بأقربها إليه .. وأنزل نفسه فوق الوسادة الهوائية .. ثم ألقى نظرة أخيرة .. ليتأكد من عدم ترك أية أجهزة أو آلات غير مثبتة .. حتى لا تتحطم على سطح كوكب المريخ .. حين

تنخفض السرعة .. ثم قام رائد الفضاء (كمال) بشد الأحزمة حول جسمه .. وأغلق مزالجها .. محدثًا نفسه :

ـ هذا هو أفضل ما يمكن عمله !

ومن خلفه .. وفى قلب المفاعل النووى الذى يمد سفينة الفضاء بالطاقة .. بالاندماج النووى .. لمادتى التريتيوم والديوتيريوم .. نظيرى الأيدروجين .. وكانت المفاتيح والمحولات الكهربائية .. تتوافق مع الصمامات الإلكترونية .. ثانية فثانية ..

كما كان معدل الإشعاع يرتفع .. وأشعة جاما مندفعة فى طوفان .. ناحية القمرة المصفحة .. المعزولة .. لرائد الفضاء (كمال) .. وعند الثانية الخمسين بعد المائة بالضبط .. اشتغلت مضخة فجأة .. ودفعت القذائف فى صورة شلال داخل غرفة الاحتراق الأسطوانية .. حيث ارتفعت درجة الحرارة هناك .. لما يقرب من أربعة آلاف درجة مئوية .. وفى عدة ثوان .. سخنت من برودة جانب سفينة الفضاء .. البعيد عن الشمس .. ثم تمددت منه .. بقوة انفجارية .. ألسنة بيضاء متوهجة .. إلى سطح كوكب المريخ !

كانت هناك رجة شديدة عند انخفاض السرعة المفاجئ .. وغاص رائد الفضاء (كمال) .. داخل الوسادة الهوائية .. وعيناه ترقبان الأرقام .. على شاشة الكمبيوتر .. والتى تحدد وضع سفينة الفضاء .. فوق سطح المريخ .. حيث كانت تحاول الحفاظ على توازنها .. فى هذا الوضع المحفوف بالمخاطر .. على دعامة ضعيفة من الغازات ..

وكانت اليد اليمنى المدربة .. لرائد الفضاء (كمال) .. على أهبة

الاستعداد لتشغيل المفاعل النووى الاحتياطى .. فى حالة اختلال التوازن .. وانقلاب سفينة الفضاء !

وفى نفس الوقت خرجت أربعة أرجل طويلة من الصلب .. لتعدل وضع السفينة .. بحيث تستقر على أرض كوكب المريخ .. واختفى زئير المحرك الذى يعمل بالاندماج النووى .. تربجيًا .. حتى ساد صمت .. كاد أن يكون تامًا !

الآن .. أصبح هناك رائد فضاء .. فوق سطح المريخ .. صاح (كمال) بصوت مدوّ .. فى غرفة القيادة ..

ــ لقد نجحت !!

ثم كرر فى جهاز الإرسال الليزرى :

ــ .. هل تسمعوننى ؟ لقد نجحت !

أتاه وابل منهمر من الطاقة العالية للجسيمات دون الذرية .. المنبعثة من البقع الشمسية .. عبر وحدة الاستقبال ..

وعندما انتهى ذلك .. كانت خبيرة الاتصالات (نجوى) وعدد من العلماء .. يبعثون بتهنئتهم .. وبدا أن الجميع فى هذا المشروع الفضائى .. يهتفون باسمه فى مبنى المتابعة الأرضية .. وبمجرد أن هدأت الانفعالات قليلا .. جاء صوت (نجوى) المميز .. وهى تقول :

ــ (كمال) ! كيف تشعر الآن .. وأنت أشهر رجل فى العالم ؟

أجابها (كمال) بصوت مجهد .. وباقتضاب وجفاء :

ــ هل يمكن أن نؤجل الإجابة حتى أعود لكوكب الأرض ؟ فهذه

البقع الشمسية تؤرقنى .. وتنذر بالشر .. و ...

قطعت هذا الحديث موجة من التشويش اللاسلكى .. وأخذ (كمال) يحدق فى اتجاه الشمس .. من خلال المرشحات الخاصة .. ووجد أن البقعة الداكنة تظهر بوضوح على حافتها .. وهى تزحف عبر القرص الملتهب !

كانت هناك أعمال كثيرة أمام رائد الفضاء (كمال) .. عليه انجازها والتفكير فيها خلال الساعات الأولى .. من إقامته فوق كوكب المريخ .. ارتدى رداءه الفضائى الواقى .. وثبّت جهاز التنفس .. وتأكد من مؤشر خزان الأكسجين .. وخرج إلى سطح الكوكب .. الذى استحوذ على اهتمام الناس منذ القديم بسبب لونه الأحمر المميز .. وتعرج مداره .. وظهور ما يشبه القنوات على سطحه .. وانتشار الأخاديد فى تربته .. ووجود كتل من الجليد عند قطبيه ..

وفى الفضاء .. بدا واضحا شكل قمرى المريخ .. (فوبوس) .. و (ديموس) .. كان رائد الفضاء (كمال) يعلم أن كوكب المريخ .. هو رابع الكواكب بعدا عن الشمس .. وأن المسافة بينهما نحو ٢٢٥ مليون كيلومتر !

* * *

كانت أجهزة الليزر والمعدات العلمية الأخرى .. خاصة أجهزة التحليل الطيفى .. تمثل الجزء الأكبر من حمولته .. وكلها على اتصال بوساطة الموصلات الفائقة .. بوحدة تسجيل تعمل بالاستشعار عن بعد ..

وتأكد رائد الفضاء (كمال) .. من وضع هذه الأجهزة والمعدات بعيدًا عن سفينة الفضاء بما يكفى .. حتى لا يضيرها الانفجار الحادث عند البدء فى رحلة العودة .. كما قام بتوجيه هوائيات الأجهزة .. تجاه كوكب الأرض .. ووضعها فى حالة التشغيل ..

كانت (نجوى) قد أخبرته أن إشاراته تصل ضعيفة .. ولم يكن هذا الأمر يبحث على الدهشة .. إذ إن صوته هو شخصيًا .. كان أحيانًا يجد صعوبة فى سماعه ..بسبب الضجيج المتداخل حوله .. الذى تحدثه الثورة فوق الشمس ..

أخذ رائد الفضاء (كمال) ينظر إلى قرص الشمس .. الملطخ بالبقع الداكنة .. ثم قال فى جهاز الإرسال .. عندما تمكن أخيرًا من الاتصال بكوكب الأرض :

ــ ماذا جرى للشمس .. وهى ما زالت فى ريعان شبابها ؟ فعمرها لا يزيد على خمسة بلايين سنة !

ردت عليه (نجوى) بصوت متقطع .. غير واضح :

ــ هناك تقرير من معهد الفيزياء الفلكية بالسويس .. يقول بوجود مئات من البقع الشمسية .. نشأت عن نمو سريع لاثنتين منها .. (القائدة) .. وهى السباقة إلى الحافة الغربية لقرص

الشمس .. وتكون عادة أكثر الاثنتين تماسكا وقوة .. أما الثانية فيطلق عليها (التابعة) .. وللبقعتين مجالان مغناطيسيان متضادا القطبية .. أحدهما موجب والآخر سالب ..

تريثت (نجوى) ثم أضافت .. وهى تقرأ فقرات من التقرير العلمى :

ــ ... وقد تكونت البقع الشمسية من انقسام مجال مغناطيسى حلقى الشكل .. قادم من مركز الشمس .. وهذه البقع مراكز لدوامات اضطراب شديد .. إذ تظهر الحركة الحلزونية المروعة للغازات الملتهبة .. وكأنها تمتص داخل البقع الشمسية .. وهى تكوّن العواصف المغناطيسية التى يصاحبها اضطراب الاتصالات اللاسلكية ..

قال رائد الفضاء (كمال) :

ــ ماهذه الضوضاء الى أسمعها ؟

كانت الضوضاء مثل موجات من المد .. وبدا أنها سوف تندفع من وحدة الاستقبال بقوة حقيقية ! بعد عدة ثوان .. ردت (نجوى) :

ــ يبدو أن العواصف المغناطيسية قوية جدًا .. وقد أثرت على موجات الإذاعة والتليفزيون .. فى طبقة الأيونوسفير بالغلاف الجوى .. فنحن لا نستطيع سماع أى برامج إذاعية ولا مشاهدة أى فقرات تلفزيونية على الإطلاق .. أقترح أن تختار وقت الإرسال بحيث لا يكون فيه هذا الاضطراب قويًا !

اشتدت حدة الضوضاء والتشويش إلى حد لا يحتمل ..

واستمر فى خلفية المشهد .. وأخذ رائد الفضاء (كمال) ينظر إلى

الشمس .. التى كانت تبدو كقطعة من الحلوى الصفراء .. المكتظة بحبات العنب الأسود الكبير !

ـ ٢ ـ

لم يكن الوقت المتاح لرائد الفضاء (كمال) .. يمكنه من الاستكشاف بعيدا عن سفينة الفضاء .. كان معه عداد (جيجر) لقياس الإشعاعات .. بالإضافة إلى مختبر صغير .. ليستطيع القيام بتحليلات سريعة .. لعينات الصخور التى تبدو مثيرة .. وقد يكتشف داخلها بللورات مائية .. وهذا بلا شك يعجل بإقامة مستوطنات فوق كوكب المريخ ..

اشتملت زوبعة العواصف المغناطيسية .. والأشعة فوق البنفسجية . القادمة من الشمس .. وكان الاستماع للأصوات الضعيفة .. وغير الواضحة .. القادمة من كوكب الأرض أمرا غاية فى الصعوبة ..

وكان رائد الفضاء (كمال) كثيرا ما ييئس من متابعة الرسالة .. وتمنى أن يحدث اتصال مستمر مع زملائه .. فوق محطة المتابعة الأرضية .. لتلافى السأم الذى قد يشعر به فى أثناء إقامته .. فوق كوكب المريخ .. إذ إن هناك القليل الذى يمكن عمله .. بعد أن استكشف كل ما يحيط به .. وأصبحت الآلات ذات الذكاء الصناعى .. تؤدى العمل بنفسها !

وكان يرجع دائما إلى جهاز الإرسال الليزرى .. متمنيا حدوث أى انحسار للضوضاء .. وعندما سنحت له الفرصة عبر عن إحباطاته لخبيرة الاتصالات (نجوى) .. التى حاولت أن تشد من أزره ..

جاءته كلماتها المطمئنة غير واضحة :

ـ على أى حال .. لن يستمر ذلك إلى الأبد .. لقد وصلنا إلى القمر وعطارد والزهرة .. والمريخ .. ومعنا كل ما استطعنا جمعه من معلومات .. وعليك أن ..

ثم قطع حديثها .. أصوات ضوضاء عالية .. وتشويش مستمر .. فأصاب (كمال) الهلع .. وصاح :

ـ ماذا قلت يا (نجوى) ؟ ماذا قلت ؟!

ولكن وحدة الاستقبال .. أخذت تقذف بالأصوات المزعجة فى وجهه .. كما لو كانت قطة شرسة !

ثم لم يلبث أن استسلم بعد خمس دقائق .. للوضع الراهن ..

كان يدرك أن العالم كله .. لابد وأنه يتابع أنباء هبوطه فوق كوكب المريخ .. فقد قرأت له (نجوى) ملخصا لكل ما كتب عنه فى الصحف والمجلات .. وكانت كلها رائعة .. وعظيمة .. حيث إنه كان يتلقى الترحاب .. والإعجاب .. كما لو كان الملاح العربى الشهير .. ابن ماجد .. الذى جاب بحار العالم .. فى القرن الخامس عشر ..

* * *

بحث رائد الفضاء (كمال) عن عدته البيولوجية .. وعندما وجدها .. ذهب ليستطلع .. ما إذا كانت الصبغات البيضاء الغريبة .. التى لاحظها على الصخور النارية الرمادية .. تثبت وجود حياة .. فوق كوكب المريخ !

— ٣ —

جاءته الإشارة العاجلة قبل غروب الشمس .. بعدة ساعات .. وقد كان وقتئذ بعيدا عن سفينة الفضاء .. مستمرا فى استكشاف الصبغات البيضاء الغريبة ! حيث توصل لتوه .. إلى كونها مركبات حية متبلورة ..!

لم يستطع تمييز الكلمات .. وسط طنين .. وتشويش العواصف المغناطيسية الصادرة من الشمس الثائرة .. ولكنه استطاع أن يتبين أن (نجوى) تناديه .. وهى فى عجلة من أمرها .. وبدا أن الأمر هام .. وخطير ..

صاح (كمال) بصوت عال :

ـ ماذا حدث ؟

أجابته (نجوى) بصراخ :

ـ إننا لا نستطيع استنباط أية معلومات .. من رسومات الطيف التى وصلتنا منك !

وكان رائد الفضاء (كمال) يعلم .. أنه من دراسة أطياف الأضواء الصادرة من النجوم .. ومنها الشمس .. استطاع علماء الفلك أن يتبينوا العناصر الموجودة فى هذه النجوم .. كالهيدروجين والصوديوم والكالسيوم والمغنسيوم .. وغيرها .

رد (كمال) فى تؤدة :

ـ إن ذلك لا يدهشنى ! إذ إننى كنت أرسل المعلومات بالمسح اللاسلكى التليفزيونى !

بعد لحظات .. تساءلت (نجوى) :

ـ لماذا لا تذهب إلى سطح الكوكب .. لترى ما إذا كان بإمكانك عمل أى شىء !

أجاب (كمال) بنفاد صبر :

ـ ولم العجلة ؟! عندما تغرب الشمس بعد ساعات قليلة .. سوف ينخفض معدل التشويش .. بما يكفى لكى تتسلمى المعلومات التى تريدينها !

قالت (نجوى) فى إصرار :

ـ إننا لا نستطيع الانتظار ! فهناك خطوط سوداء غريبة فى طيف الشمس .. والأمر يبدو خطيرا !

رد (كمال) بسرعة :

ـ حسن . يبدو أن على أن أسرع فى ذلك ! فالشمس توشك على الغروب هنا !

ثم خرج من سفينة الفضاء .. بعد أن ثبت خوذته الشفافة فوق رأسه ..

كانت هناك أربعة من أجهزة تحليل الطيف .. أحدها مصوب نحو الشمس . والثلاثة الأخرى مركزة على النجوم الهامة مثل الشعرى اليمانية التى تبعد بنحو أربع سنوات ضوئية .. عن كوكب الأرض .. والتى قد يعطى طيفها معلومات قيمة عن تطور النجوم ..

هبط (كمال) داخل ظل الجهاز .. ودفع الحاجز الداكن أمام لوحة الرؤية .. ليتمكن من مراقبة الضوء المبهر .. الساقط على عدسة

الشينية .. ثم بدت منه علامات الدهشة البالغة .. عندما شاهد الخطوط السوداء الكثيفة .. فى طيف الشمس !

كانت هذه ظاهرة كونية مثيرة .. غريبة .. لا يستطيع أن يجد لها تفسيرا ! وأخذ يراجع الأرقام الكودية للطيف المرئى .. على شاشة الكمبيوتر اليدوى فى راحة يده .. وعندما عاد إلى سفينة الفضاء بعد فترة قصيرة .. كان عابس الوجه .. متجهما ..

فتح قناة الاتصال مع مركز المتابعة الأرضى .. باغتته (نجوى) قائلة بصوت مفعم باللهفة :

ـ ماذا وجدت ؟

رد (كمال) فى حيرة :

ـ هناك خطوط سوداء غامضة كثيفة .. وبعدها يمتد إلى منطقة المليون درجة منوية فى كتلة الشمس ! ولا أستطيع أن أفسر هذه الظاهرة الغريبة !

أجابته (نجوى) ببطء :

ـ أتمنى أن يفيدنا معهد الفيزياء الفلكية فى هذا الأمر ..

وإذا كانت قد أضافت شيئا آخر .. فإن رائد الفضاء (كمال) لم يتمكن من متابعته .. بسبب الضوضاء الشديدة ..

ثم عاد إلى جهاز التحليل الطيفى .. وألقى عليه نظرة فاحصة .. قبل أن تغرب الشمس الضخمة .. وراء الجبال والبراكين الشاهقة .. بمنطقتى (كاسى فاليس) و (شارونوف) .. وعندما اختفت تماما .. قام بإعادة توجيه الجهاز إلى النجم التالى .. فى القائمة التى معه ..

كانت هذه مهمة علمية دقيقة .. .. تحتاج إلى إعادة توقيت عمل الساعة الفلكية .. وتركيب عدسة أكبر .. ذات بؤرة أبعد ..

شعر (كمال) بالبرودة القارسة .. بداخل حلته الفضائية المعزولة .. ومرت ساعتان كاملتان بعد غروب الشمس .. قبل أن يدخل إلى سفينة الفضاء .. حيث الدفء الصناعى ..

كان من المتوقع أن تقل حدة تشويش العواصف المغناطيسية .. الصادرة من الشمس .. فاتصل (كمال) بمحطة المتابعة الأرضية .. وسره أن يجد أن الضوضاء .. قد أصبحت أقل حدة الان ..

سأل (نجوى) :

ــ هل هناك أخبار جديدة من معهد الفيزياء الفلكية ؟

تريثت قليلا قبل أن تجيب :

ــ اصبر قليلا ! كم من الوقت تعتقد أن الكمبيوتر الرئيسى بالمعهد يستغرقه لتحليل هذه المعلومات الفلكية ؟.. يبدو أن فوضى الاتصالات قد أصابت كل الأجهزة هنا فوق كوكب الأرض !

تناول (كمال) طعامه .. وهو يجرى على الكمبيوتر اليدوى .. مجموعة من المعادلات الرياضية .. ويحاول التوصل إلى معنى معقول منها .. وعندما انتهى .. قرر الخروج إلى سطح كوكب المريخ .. وإلقاء نظرة على كوكب الأرض .. بالرغم من الغيوم الكثيفة .. التى تتكون من غاز ثانى أكسيد الكربون .. كان كوكب الأرض يبو رائعا .. ومتألقا .. بسبب الضياء الذى يحدثه الماء والهواء .. ذكره بالقمر كما يرى من فوق سطح الأرض ..

ولكن حدث فجأة .. أمر عجيب ! فكأنما قد تحرك مفتاح كونى سحرى .. إذ ازداد ضوء الجزء المنير من قرص الأرض .. بشكل غير عادى ..

كان البريق شديدا .. دفعه إلى أن يصرخ داخل خوذته الشفافة .. ويغطى عينيه .. بالحاجز الداكن .. ولكن ظلت مرتسمة على الشبكية صورة أرجوانية .. متألقة ..

أخذ يغمض عينيه .. ويفتحهما .. ناظرا إلى كوكب الأرض .. من خلال الحاجز الداكن للضوء .. وعندئذ فقط .. أدرك حقيقة ما حدث !

استدار فى هلع .. ثم صعد فى سلم سفينة الفضاء .. وهو يرتعد .. وما إن فتح الباب إلكترونيًا .. حتى اندفع عبر غرفة القيادة .. إلى جهاز الاتصال الليزرى ..

صرخ فى وحدة الإرسال .. بقمة انفعاله :

ــ (نجوى) ! هل تسمعيننى ؟ ما الذى حدث ؟

أجابه صوت غريب .. من خلال جلبة .. وصخب .. وتشويش .. أعلى من أى وقت مضى .. كلمات هستيرية :

ــ لقد انفجرت الشمس !!

ــ ٣ ــ

تراقص الوهج المروع للشمس المتضخمة .. على وجه كوكب الأرض .. بما يشبه تأثير قاذفات لهب جبارة .. وجلس راند الفضاء (كمال) يستمع إلى التقارير الرهيبة .. وهو فاقد الحس .. لا يقوى على الطعام أو الشراب أو النوم ..

ولمدة قصيرة .. خلال الساعات القليلة الأولى .. وبينما ما زالت هناك على سطح كوكب الأرض .. أماكن لم تطلها الأصابع الجبارة للهب .. تمكن بعض العلماء ممن ظلوا فى غمرة الدمار محتفظين بهدوئهم بالقدر الكافى .. ليقولوا ماذا حدث .. دون أن يعبئوا بما إذا كان هناك من يستمع إليهم أصلا !

أخبروه .. أن ثمة أعاصير رهيبة إلى حد لا يصدق .. رفعت فجأة درجة حرارة الهواء الجوى .. بنحو عشرين درجة .. وبدأت الطبقات العلوية .. من بعض المحيطات والبحار فى التبخر .. كما لو كانت فى أعماقها أجهزة تسخين عملاقة ! واندفعت المياه كموجات مد جزر .. وهى تزأر عبر الشواطئ .. لتندفع إلى اليابسة .. بسرعة تبلغ نحو مائة كيلومتر فى الساعة !

كذلك تحدث العلماء عن بعض المدن التى تنهار .. والناس الذين يكابدون حتى الموت .. بقدر أكثر بشاعة من انفجار القنابل الهيدروجينية ..

وتلاشت جبال الجليد فى المناطق القطبية .. وارتفعت مناسيب المحيطات والبحار .. وهى تغلى !

وصار الهواء مشبعا بالسحب البخارية لأقصى درجة .. بحيث لم يعد يرى أكثر من القرص الساكن للشمس .. وهو شاحب .. وقاحل .. وعديم الملامح .. كوجه كوكب الزهرة !

* * *

وشاهد رائد الفضاء (كمال) وهو ينظر نحو الأفق .. قمم

(تمبى) و (ماريتس) .. وهى تبدو بلون أحمر داكن .. ثم بدأت الهزات البركانية .. تسبب انهيار البعض منها ..

وأدرك أن الحدود الخارجية المتمددة للشمس .. قد أحدقت بكوكب عطارد وكوكبى الزهرة والأرض .. ولكن ليس أكثر من ذلك ..

لقد انفجرت الشمس .. وأصبحت (نوفا) .. بسبب عدم الاستقرار فى تركيبها الداخلى .. مما أدى إلى ارتفاع درجة الحرارة فى المركز إلى نحو ثلاثين مليون درجة منوية !

ونتج عنه انفجارات صغيرة نسبيًا .. وبعد عدة أيام .. سوف تعود الشمس إلى حالتها الأصلية .. نجم فى مرحلة الأقزام الصفراء .. ولكن بعد أن أحدثت دمارا هائلا .. بكوكب الأرض .. إنه طوفان كونى جديد ..!!

* * *

وأخيرًا استسلم رائد الفضاء (كمال) للنعاس وهو أمام أجهزته .. سقط رأسه إلى الوراء .. وترهلت أعضاؤه .. ودخل بسرور فى مرحلة غياب الوعى .. بسبب الإجهاد المفرط .. بعد ذلك مر عليه الوقت .. كنوع من الدوار ..

كان ينظر إلى الكرة اللامعة .. المبهمة الملامح بالسحب .. ولا يستطيع أن يتذكر ما يعنيه ذلك .. وأخذ يسمع ضجيج تشويش الأجهزة .. بدون أى بارقة أمل فى وجود صوت يناديه .. من مكان ما .. وتساءل فى وهن ..

ـ لماذا أرهق نفسى .. بمشقة البقاء على قيد الحياة ؟ وتذكر

أنه عندما تشرق الشمس مرة أخرى .. على المريخ فإن الفرصة سوف تفلت منه !

وعندما أخبره عداده الزمنى الدقيق .. بانتهاء الليل .. ارتدى حلة الفضاء مرة أخرى .. وتحركت يداه على أحزمة الربط .. كما لو كانت تخص شخصا آخر !

ثم غادر سفينة الفضاء .. ليشاهد مجىء الفجر النهائى ..

بدا له أن من المنطقى أن يفعل ذلك .. بدلا من أن يقبع تحت حماية سفينة الفضاء .. التى لا جدوى منها .. أو أن يختبئ فى كهف بين الصخور ..

وبينما هو يقف بالقرب من بركان (سيرونيوس) .. الهائل .. أدار عينيه مرة أخرى باكتئاب تجاه كوكب الأرض .. كان مضيئا جدا وسط السحاب .. بحيث بدا كنجم عملاق جديد فى السماء .. وليس ككوكب صغير ..

فكر فى أشياء عملها .. وأماكن زارها .. وأشخاص كانوا أصدقاء له .. كل ذلك لن يراه قط مرة ثانية .. تمنى لو أنه كان شاعرا .. لكتب بعض كلمات التأبين .. أو أديبا ليؤلف قصة .. عن كائن مجهول يهبط فوق الأرض .. ويفك شفرتها بعد مليون عام .. ليعرف كيف هلك أحد الأجناس !

وتساءل رائد الفضاء (كمال) :

ــ كيف يمكن أن تمسك القلم وتكتب كلمة « النهاية » لقصة استمرت نحو مليونين من السنوات ؟

كان المنظر الطبيعى للوهاد والجبال والبراكين والأودية .. ممتدا تحت ضوء الشمس .. وظلال الفجر الطويلة المائلة تجاه الأفق .. لكنه ما زال حيا يرزق !

استدار وهو غير مصدق .. ونظر بتركيز إلى الشمس المشرقة المنخفضة .. كان شكلها غريبا .. وهى منتشرة ومرتدية غلالة من غازاتها البركانية .. الداكنة .. المتفجرة .. وبدت له أكبر من ذى قبل .. لكن ضوءها لم يعد ساطعا بالدرجة التى قد تقتله ! وبعد أن استسلم فترة طولية لفكرة حتمية الموت .. كان محتاجا لزمن ما .. لكى يعتاد على فكرة البقاء على قيد الحياة ..

وقف طويلا فى ذهول .. ثم قضى دقائق فى صياح .. مرح .. مجنون .. حتى حل به الإنهاك .. وألحت عليه فكرة خاطفة :

ــ ما الذى سوف أستفيده .. من مسألة إرجاء موتى .. إلى فترة مقبلة ؟! إن الأمر ليس أكثر من تأجيل الحكم بموته .. إذ إن تحرره من الارتباط بكوكب الأرض .. كان مؤقتا .. فلن يستطيع أن يقضى بقية حياته هنا .. فوق كوكب المريخ ! بدون طعام أو ماء أو أكسوجين ..

ربما حدث ذات يوم .. أن أجناسا عاشوا فى جحيم النجوم المحتضرة .. مختبئين فى ملاجئ تحت الأرض .. أو فى مخابئ من القنابل الهيدروجينية .. والبيولوجية والكيميائية .. أو داخل قباب بلاستيكية .. ذات وسائل صناعية للتنفس .. خوفا من البيئة الملوثة .. المعادية ..

كان ثمة طريقة واحدة لتعرف ما حدث لكوكب الأرض .. أن يعود إليه !

— ٦ —

حلق رائد الفضاء (كمال) بسفينة الفضاء على أجنحة الهبوط .. والانزلاق .. ونظر بقلق إلى أسفل .. فى كل مكان تسمح له التطويحات القوية للهواء المشوه بذلك .. باحثا عن أى أثر للحياة ! لكن أى نوع من الحياة .. يمكن أن يبقى بعد عاصفة الحرارة والإشعاع .. التى انهمرت كالجحيم من الشمس !

لاحظ (كمال) تغير وجه الأرض .. بشكل يصعب إدراكه .. البحار العالية الملوثة بالزيت .. الأرض الخضراء العشبية المحروقة . والملطخة .. المدن المتهدمة البارزة من الخلجان المغمورة حديثا ..

كان ذلك منظرا حزينا .. مروعا .. تحجبه سحب سمكية ملتفة من بخار الماء .. وأحجام هائلة سوداء من الدخان اللزج .. بطىء الانتشار .. والتشتت !

* * *

اختار منطقة هبوط .. فوق ما كان قبل ذلك .. بحيرة .. جفت الأرض .. وتشققت وتحولت إلى طمى ناعم .. مختلط به بقايا بعض الأشجار المتفرقة التى تفحمت .. كانت تهب على الأفق .. عواصف كهرومغناطيسية رهيبة ولم يجرؤ بالطبع على مواصلة الطيران .. ومواجهتها ..

سارت سفينة الفضاء فوق الأرض .. مسافة نحو ألف متر ..

وكان رائد الفضاء (كمال) .. ينتظر فى كل لحظة .. أن تقابل العجلات شقًا .. أو شرخا .. تسقط فيه إلى باطن الأرض .. ولكنه توقف فى أمان .. وبمجرد أن أمكنه إيقاف أجهزة التحكم .. والتشغيل .. ارتدى الخوذة الشفافة .. للأكسوجين .. وخرج حاملا عدته الكيميائية .. لإجراء بعض التجارب .. بعد أن تحطم الغلاف الجوى ..

وهى التى قضت على آخر آماله .. فى التأكد من أن الإنسان .. قد عاش بعد الكارثة ! فلم يكن فى الهواء أى أكسوجين .. وإنما كان هناك بخار ماء ملوث .. وغاز ثانى أكسيد الكربون .. وغازات كبريتية .. وأشعة فوق بنفسجية كثيفة .. وحرارة لافحة !

تحرك رائد الفضاء (كمال) حتى حافة بحر قريب .. بتلألأ بلون رصاصى كئيب .. من انصهار الجبال والأنهار الجليدية .. واندفع البحر وهو يغلى تجاه الشاطىء الرملى .. وكان مليئا بالقاذورات .. وأشلاء المخلوقات البحرية !

* * *

عاد إلى سفينة الفضاء .. وأحضر بعض أحواض استنبات البكتيريا والتى كان مفترضا أن يضعها فوق سطح المريخ لفحص مدى قدرتها على الحياة ..

نظر إليها دون أى أمل حقيقى .. وأدرك أن عليه الانتظار قليلا .. بعد أن يضع الأحواض .. فى هذا الجو .. ونظر بعيدا تجاه الأفق المغطى بالبخار .. فى انتظار تبلور .. ووضوح أهداف النتائج ..

غمغم قائلا :

ـ عند بداية تكوّن كوكب الأرض .. منذ أربعة آلاف وخمسمائة مليون سنة .. كان الهواء مشبعا بثانى أكسيد الكربون الناتج من البراكين الخامدة .. والبخار المتصاعد من المحيطات الباردة .. وكانت خالية من كل مظاهر الحياة .. أى كما هو الحال الآن .. تماما !

وشعر رائد الفضاء (كمال) بوحدة مخيفة .. لم يحس بها أى كائن من قبل .. وأخذ ينظر إلى أحواض استنبات البكتيريا .. فيجدها غير مثمرة .. انحنى .. والتقط إحدى الشرائح الزجاجية بكسل .. ولا مبالاة .. ونظر إليها تحت المجهر الإلكترونى .. وسرعان ما صدرت منه .. داخل خوذته الشفافة .. صيحة رهيبة .. مزيج من الفرحة والذهول .. إذ كانت تعج بالحياة !

لم يكن إذن الكائن الحى الوحيد .. على سطح الأرض .. بل هناك مخلوقات أخرى دقيقة .. تنبض .. بنوع ما .. من الحياة ..

وقف رائد الفضاء (كمال) على قدميه المرتعدتين .. وابتسامة فوق شفتيه .. فقد تأكد الآن .. مما يجب عليه أن يفعله .. بعد الطوفان !!

* * *

صدر من السلسلة

غزو من عالم آخر

سلسلة نوفا للخيال العلمى

قصص من عالم الغد

★★★★

٢٢١٥٩

المؤلف

رءوف وصفى

شواطئ الأبدية

تمتلئ قصص الخيال العلمى بالإثارة والمغامرات الفريدة فى إطار علمى وتكنولوجى مستقبلى وجذاب :

- مغامرة جديدة مذهلة لدورية الفضاء ، يذهبون فيها إلى أعماق الكون .. إلى شواطئ الأبدية ..
- الحلم الأخير .. فى الوصول من أعماق البحر إلى سطح الأرض حيث المفاجآت .
- حديقة الحيوان العجيبة بين الكواكب .. وكائناتها الغريبة .
- جراحة القرن الثانى والعشرين .. يذهب فيها الطبيب إلى داخل المخ البشرى .. حيث الأحلام والكوابيس !
- شكل الجسم البشرى بعد مليون سنة !
- النتائج المدمرة لثورة الشمس !

وغيرها من القصص المثيرة للخيال العلمى .

فى هذا الكتاب

الصفحة

- شواطئ الأبدية ٥
- حديقة حيوان بين الكواكب ٦٣
- الحلم الأخير ٦٧
- عيون المستقبل ٨٥
- مباريات الموت ٩١
- احترس .. إننى داخل مخك ! ١١٣
- ثورة فوق الشمس . ١٣٩

الثمن فى مصر
١٢٥
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع مسكه بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥